

وديع فلسطين

حديث مستطرد عن

الشاعر ابراهيم ناجي ورابطة الادباء

بقلم وديع فلسطين

* * *

صدرت في الاوان الاخير اربعة كتب عن الشاعر الغنائي المتدفق الشاعرية الدكتور ابراهيم ناجي ، اولها لاحمد عبد المعطي حجازي وهو مختارات من شعر ناجي مع مقدمة لصاحب الكتاب ، وثانيها للدكتور طـه وادي ، وثالثها للدكتور علي محمد الفقي ورابعها لحسن توفيق وقد ضم فيه خمسين قصيدة مجهولة لناجي الى جانب مقدمة مسهبة عن الشاعر .

والغريب ان هذه الكتب الاربعة تتحدث عن ناجي لا حديث معرفة شخصية ، بل حديث عنعنة ، اي انها اقتصرت على السماع وعلى النقل ، اما اخبار الشاعر فلم تستقصها منه ــ وهو قريب العهد بنا ــ ولا من معاصريه ومخالطيه ، بل روتها نقلا عن الذين وضعوا مؤلفات سابقة عن ناجي ، وهم الدكتورة نعمات احمد فؤاد واحمد المعتصم بالله ومحمود الشرقاوي وصالح جودت .

واقول في غير تجن على احد ، ان الكتب التي تناولت الشاعر ناجي ، اما اشارت اشارة سريعة الى « رابطة الادباء » التي كان له فيها دور ريادي نحو ثماني سنين ، واما اغفلت الاشارة اليها اغفالا تاما .

ولما كنت من الضالعين في رابطة الادباء منذ انشائها والى ان هجرتها ثم هجرها ناجي بعيدي ، فقد ارتايت ان أرسل الحديث عن هذه الرابطة وان أتطرق الى ما أعرف من اخبار ناجي وأموره في هذا الحديث المستطرد .

في عام ١٩٤٥ كنت احرر جريدة « المقطم » بعدما تركت عملي في جريدة « الاهرام » ، وكنت في الوقت عينه أمرن قلمي على الكتابة في طائفة من الصحف والمجلات ، منهـا جريدة « منبر الشرق » التي كان يصدرها المجاهد المغبون الشخ علي الغاياتي صاحب ديوان « وطنيتي » المشهور الذي كتب مقدمته المجاهد الوطني محمد فريد بك والشيخ عبد العزيز جاويش ، فحكم على مؤلفه وصاحبي المقدمتين بالحبس ، اما الغاياتي فتسلل الى الاستانة ومنها الـى جنيف حيث أصدر « المنبر » ثم نقله الى مصر بعد سقوط الحكم بالحبس بالتقادم واما محمد فريد جاويش فأنقذت فيهما العقوبة .

وذات صباح من شهر سبتمبر ١٩٤٥ هاتفني الشيخ الغاياتي قائلا ان لي في مكتبه بطاقة وردت بالبريد ، ورجاني ان اعرج عليه لتسلمها .

وكانت البطاقة مرسلة من رجل لم اسمع باسمه مـن قبل هو خليل جرجس خليل (وهو اليوم ركن عزيز مـن أركان البنيان الشعري في مصر) ونصها :

« يسر رابطة الادباء بالقاهرة ان تدعوكم الى اجتمـاع مجلس الادارة في الساعة السادسة من مساء يوم الاحد السادس عشر الجاري (سنة ١٩٤٥) بشارع جزيرة بدران رقم ٩ » .

اذن هناك رابطة للادباء ، ولهذه الرابطة مجلس للادارة ، ولها مقر في حي شبرا . وهذه كلها أخبـار جديدة علي ، وان كانت أخبارا لا تشبع . فما هي أهداف الرابطة؟ وممن يتألف مجلس ادارتها ؟ وما هو نشاطها ؟ هذه جميعا امور مجحبة ، ولا تعرف على وجه اليقين الا بتلبية الدعوة البريدية وان يكن موجهها مجهولا لدي .

ولم يكن ثمة ما يدعوني في هـذا الزمن الطلق الـى الاسترابة في هذه الدعوة . فالحياة الادبية في مصر حيـاة مفتوحة المصاريع والنوافـذ جميعا ، والحركة الادبيـة ناشطة بفضل الهمة الفردية للادباء لا لاجهزة البيروقراط ، والمجتمع الادبي يستضيء بأعلام أمجاد ، لكل منهم اسم مدو في مصر وخارجها : خليل مطران بك ، عباس محمود العقاد ، الدكتور طه حسين باشا ، ابرهيم عبد القـادر المازني ، أحمد حسن الزيات بـك ، محمد حسين هيكل

باشا ، الشيخ عبد العزيز البشري ، الدكتور منصور فهمي باشا ، الدكاترة زكي مبارك ، الدكتور احمد امين بك ، الشيخ مصطفى عبد الرازق باشا ، الشيخ علي عبد الرازق باشا ، محمود تيمور بك ، فؤاد صروف ، الدكتور فارس نمر باشا ، اسماعيل مظهر ، نقولا الحداد ، الدكتور امير بقطر ، كامل كيلاني ، توفيق الحكيم ، الدكتور محمد صبري بك السوربوني ، الدكتور ابرهيم ناجي بك ، علي محمود طه المهندس ، الدكتور بشر فارس ، علي ادهم ، عبد الرحمن صدقي ، محمد عبدالله عنان ، الدكتور محمد عوض محمد بك ، محمد فريد أبو حديد بك ، احمد الشايب، سلامه موسى ... وما شئت من رجال مفاخر لن يجود الدهر بمثلهم في حقبة زمنية مجتمعة واحدة .

وكانت محافل الادب وندوات الادباء متصلة الانعقاد ، وكان في الصحف باب يومي هو باب « محاضرات اليوم » كنت أصابح به الجريدة لانتقي محاضرة أو اثنتين احاول الاستماع اليهما في هذه القاعة أو تلك من القاعات الكثيرة المنصوبة للعلم والادب في القاهرة . ولا بأس أن اقول بين عضادتين وعلى سبيل المفارقة انني صرت اليوم استصبح بقراءة صفحة الوفيات في الجريدة بعدما اختفى منها باب « محاضرات اليوم » !

ولم يكن ليجول في خاطري ، ولو على سبيل حلم من احلام الليل أو اليقظة ، ان اعرف واحدا من هؤلاء الكبار الكبار ، أو ان تقوم بيني وبين اي منهم وشيجة او مودة . فقد كنت ما زلت في ريق العمر ، اجتهد في اكتشاف الحياة من حولي ، فترن في أذني هذه الاسماء المهيبة الضخام المتصلة بالخلد ، فأزداد تصاغرا في عيني نفسي . وقد اكرمني الله في ما بعد فعرفت هؤلاء جميعا مع تفاوت في المعرفة ، وهكذا صح لي أن ادعي الخضرمة ، وان كان موضعي الازلي من هؤلاء الاعلام هو موضع التلميذ الذي لا يغادر فصول التلمذة .

فلما جاءتني دعوة خليل جرجس خليل سألت نفسي : ما الذي اغرى خليلا على دعوتي الى اجتماع مجلس ادارة رابطة الادباء ؟ اتراه اغتر بشهرتي البازغة المتواضعة فضخمها واستشحم ذا ورم ؟ ام تراه توشم في استعدادا ادبيا فابتغى ان يذكيه وينميه ؟ أم تراه جمع اسماءه من الصحف خبط عشواء ، ودعا « كل من هب ودب » فكنت انا من جملة « الهابين الدابين » ؟ ولم يخل الامر من ومضة غرور : فلعل خليل جرجس خليل من المعجبين بادبي ، فكانت دعوته الي وليدة هذا الاعجاب الاكيد !

وأيا كان الامر ، فان موعد الدعوة مناسب ، ومكانها — على بعده — يستعان على بلوغه بمطية الكهرباء (الترام) . ولا بأس من رؤية وجوه لم آلفها من قبل ، ولا ضرر من « التفرج » على روابط الادباء عن كثب ، فان لم يرق لي الحال ، فاني متسلل من هذا الجو .

وتوجهت الى مكان الاجتماع ، فاذا هو غرفة متواضعة بل متداعية ، فيها مقاعد متهالكة لا يزيد عددها على عشرين رصت على هيئة دائرة ، وكان بالباب شاب عليه ملامح « الصعيد الجواني » يستقبل القادمين ويهش ويبش في وجوههم ، وهذا الشاب هو بعينه خليل جرجس خليل . وكان يستفسر من كل قادم عن اسمه ، ثم يعين له مقعدا بين الجالسين . اما انا ، فأخذت لنفسي مقعدا مجاورا للباب ، تأهبا للخروج عند الاقتضاء .

وبعد التعارف — ولم اعرف من الحاضرين الا الدكتور ابراهيم ناجي باسمه لا بشخصه ، والا كمال نشأت الذي كان مثلي في بدايات الطريق الاولى ، والا عيس متولي وكانت تعليقاته الاجتماعية والاخلاقية تملأ الصحف . اما بقية الحاضرين ، فكانوا بالنسبة الي دنيا انا جاهلها — افتتح خليل الجلسة بكلمة مرتجلة قال فيها ان فريقا من الادباء ارتأوا تأليف رابطة تجمعهم ، وانه وجه الدعوة الى عشرات منهم فلم يلبها الا هذا النفر القليل ، ثم قام بتقديم الحاضرين واحدا واحدا ، واعلن بدء اجراء انتخابات عضوية مجلس الادارة ، ففاز الدكتور ابراهيم ناجي برياسة الرابطة ، وفزت بوكالتها ، وفاز الخليل بمنصب السكرتير ، وانتخب غيرنا لامانة الصندوق ولعضوية المجلس . وكان هذا الانتخاب مفاجأة لي ، فمن أنا حتى اكون وكيلا لناجي او عضوا في مجلس ادارة رابطة للادباء ؟

انها ورطة حقيقية ، ورطني فيها خليل جرجس خليل . كنت في بادئ الامر اتوهم ان دوري في رابطة الادباء هو على احسن الفروض دور العضو المستمع الذي يملك ان يحضر اجتماعاتها وان يتخلف عن حضورها . ولكن صار حتما علي الآن ان احمل من اعباء الرابطة ما لم اكن هيأت له نفسي ، وصار علي ان انوب عن الدكتور ناجي في ادارة جلسات الرابطة ، لا سيما وهو طبيب ذو عيادة خاصة في حي شبرا الشعبي ومواعيده يقررها مرضاه لا هو . فمتى انصرف آخر مريض من عيادته ، لحق باجتماعات الرابطة ولو في الساعة العاشرة مساء بينما هي تجتمع في حدود السابعة . وكان علي أن اشارك في اعداد محاضرات الرابطة الاسبوعية ومناظراتها وحلقات شعرها ، فضلا عن بحث شؤون الرابطة ومشروعاتها وميزانيتها . والحق ان هذه الامور جميعا قد هانت بفضل خليل جرجس خليل الذي كان شبه متفرغ للرابطة ، بينما كنت انا مشغولا بالتزامات الصحافة ، وكان من جملة اعمالي تدريس الصحافة في الجامعة الامريكية .

والدكتور ابراهيم ناجي تراه على البعد فتحسبه ابراهيم عبد القادر المازني . فكلاهما قصير ناحل الجسم ، وكلاهما خفيف الشعر وان كانت صلعة ناجي اكبر من صنوتها عند المازني ، وصوتهما متشابه ، وحركاتهما تكاد

تتطابق ، وحبهما للنكتة مشترك . ولكن المازني كان يظلع في سيره ، لكسر قديم في ساقه ، كما ان الشيب جلل فوديه، ولا كذلك ناجي .

وكان ناجي يؤم جلسات الرابطة بغير موعد معروف ، حتى في الايام التي كان هو فيها المحاضر الرئيسي. وكان متعدد الاهتمامات ، واسع الثقافة ، يرتجل النثر والشعر ساعات وساعات ، فلا البديهة تخونه ، ولا الذاكرة تعييه . وقد افتتح ناجي اول برامج الرابطة بمحاضرة موضوعها « معنى الادب » يوم الاحد ١٤ من اكتوبر ١٩٤٥، وكانت اجتماعاتنا تتم دائما في مساء الاحد . وما اكثر ما حدثنا ناجي عن علم النفس وتطبيقاته في الحياة وفي الادب ، وعن آداب الغرب وادبائه ، وعن الادب العربي وقممه الشعرية ، وعن الادب ودوره في الجماعة ، وعن العوامل المنهضة للادب . اما شعره ، فكان يستظهره وكأنه يقرأ من كتاب مبسوط امامه ، فاذا انتهى من محاضرته . بدأ ينشد الشعر ويستعين بيمناه وبعينيه وبشفتيه وبكل ملامح وجهه وبصوته في تمثيل هذا الشعر ، حتى شعره الراقص كان ينشده راقصا . وكثيرا ما كان يقطع حديثه او شعره ليقول نكتة او يروي فكاهة خطرت له . وكانت له قدرة عجيبة على الاستئثار بانتباه السامعين ، وكأنهم مسمرون بعيونهم وآذانهم وكل اهتماماتهم لمتابعة ما يقول . ثم انه لم يكن يضيق بأي سؤال ، ورده جاهز ، وهو دائما رد العالم الداري الواثق من نفسه ومن علمه تمام الوثوق .

وكانت مشكلة الرابطة الاساسية هي الخصاصة . فلم يكن لها من موارد الا اشتراكات الاعضاء القليلين — ان انتظموا في ادائها — وهي اشتراكات بدأت بعشرة قروش في الشهر فلما زادت لم تتجاوز الثلاثين ، اي قرشا واحدا في اليوم ! وكان علينا ان نستأجر للرابطة مقرا يقصده روادها ، ولكن مشكلة المال كانت تؤودنا . ومن ثم كتب علينا ان نقبل ضيافات ذوي الاريحية . فاستضافتنا السيدة سنية قراعة في مكتبها ، واستضافنا الاستاذ محمد زكي عبد القادر في مكتبه ، واستضافنا صاحب مدرسة في حي السيدة زينب ، وهكذا ظلت الرابطة تتنقل من مكان الى مكان : من حي شبرا الى حي الجيزة الى حي السيدة زينب الى وسط العاصمة الى حدائق القبة حتى استقررنا شبه استقرار في نادي موظفي الحكومة في شارع عماد الدين .

وكنا نفقد بسبب هذا التنقل المستمر جمهورا ، كما كنا نكسب جمهورا جديدا . وكان اغلب رواد الرابطة من الطلاب ومن محبي الادب . اما المحاضرون ، فقد كنا نعتمد في المقام الاول على اعضاء الرابطة في القاء المحاضرات او انشاد الشعر — والى ان ماتت الرابطة لم نسمع فيها ولو مرة وحدة شيئا من الشعر الحر لانه لم يكن قد نشأ بعد .

ولكننا نجحنا غير مرة في دعوة متحدثين من الخارج ، فسمعنا محاضرة للدكاترة زكي مبارك ، واخرى للشاعرة جميلة العلايلي ، وثالثة للاستاذ الشيخ الدكتور احمد الشرباصي ، وهلم جرا .

وكان طبيعيا ان تجري الرابطة انتخابا لمجلس الادارة في كل عام ، فكان الانتخاب يسفر دائما عن فوز ناجي للرياسة وكاتب هذه السطور للوكالة وخليل جرجس خليل للسكرتارية الى جانب اعضاء آخرين . واذكر من الذين انتخبوا معنا في فترات مختلفة المرحوم مبارك ابراهيم — وكان اديبا ومترجما من الطراز الاول ادبا وخلقا واخلاصا — والسيدة سنية قراعة ، والسيدة فريدة موافي (وكانت مديرة لاحد معاهد الصم والبكم) وغيرهم . وفي احدى السنين اقترح ناجي انتخاب زكريا مهران باشا (وهو من رجال الاعمال المثرين) رئيس شرف للرابطة ، واقمنا له حفل تكريم ، فكان هذا اول وآخر العهد برئيس الشرف !

اما المترددون على الرابطة ، فأذكر منهم الدكتور محمد صلاح الدين باشا وزير الخارجية الاسبق ، ومحمد عبد الغني حسن والشاعر صالح شرنوبي — الذي مات في شبابه تحت عجلات قطار — ومصطفى عبد اللطيف السحرتي والدكتور كامل السوافيري وكامل كيلاني والشيخ حسن القاياتي وكمال نشأت وعلي الجمبلاطي وغيرهم .

ولئن اعترضت الرابطة في كل عمرها مشكلات مالية ، ولئن افتقرت الى مقر دائم يؤويها ، ولئن عجزت عن ان تنتظم في عضويتها عددا ملتزما من الاعضاء ، فقد كانت اجتماعاتها الادبية متصلة صيف شتاء ، وكان برنامج كل جلسة يضم ثلاثة او اكثر ، وكنا بعد ذلك نأذن للحاضرين بأن يستكملوا بنود البرنامج ، فنسمع شعرا وتعليقا منهم .

وهكذا توافرنا على اداء رسالة الادب في هذه الرابطة ، وكان الدكتور ناجي برغم اعبائه المبهظة كطبيب له وظيفة في الصباح وله عيادة خاصة في المساء ، اكثرنا نشاطا . فاذا دخل القاعة ، فالمنبر له ، يحاضر منه او ينشد شعره ساعات وساعات وبلا تعب .

وذات يوم ، افتقدنا الدكتور ناجي لغيابه المفاجيء ، فقيل انه مريض . فتوجهت مع مصطفى عبد اللطيف السحرتي لزيارته في بيته في مصر الجديدة ، وعرفنا من التلميحات التي قيلت لنا انه مريض بذات الرئة . ورأيناه في فراشه شديد الهزال ، اصفر الوجه ، لا يفارقه السعال، في عينيه جحوظ ظاهر . ولكن المحنة الصحية الشديدة تم اجتيازها بحمد الله ، وعاد الينا ناجي وهو اشد مما كان حماسة لمواصلة عمله الادبي ، غير ملتفت الى المخاطر

الصحية التي تهدده ، لا سيما وانه كان كثير السهر ، وكان يتردد على المشارب المختلفة في القاهرة الى قرب الفجر ، ثم يعود الى منزله مجهدا مسلوب القوى .

ولكن داهية اكبر كانت تنتظر « ناجي » . وقد تمثلت هذه الداهية في قرار ظالم اتخذ بفصله من وظيفته كمدير للادارة الطبية لوزارة الاوقاف متهما بعدم الانتاج ، وورد اسمه في صدر قائمة التطهير التي اعلنت . وكان لهذا القرار وقع نفسي صاعق على الدكتور ناجي الذي كان يعالج الفقراء ويمنحهم من جيبه ثمن الدواء ، والذي كان — كما اخبرني بذلك نقولا الحداد العالم الشهير — متوافقا مع صيدلية الحداد اسفل عيادته في شبرا بأن تقدم الدواء للفقراء من مرضى الدكتور ناجي وتقيد ثمنه لحساب الدكتور المعالج ! فهذا الطبيب العالم الانسان ، قد وجب تطهيره وفصله من وظيفته دون ان تتاح له فرصة للدفاع عن نفسه، ودون ان يجري اي تحقيق في هذه الفرية الظلوم التي زهدت ناجي في الحياة ولم تلبث ان صرعته صرعة الموت .

فكان طبيعيا والحال هذه ، ان يهمل ناجي رابطة الادباء ، وكنت من ناحيتي قد تخلفت عن حضور اجتماعاتها بعدما لاحظت قلة اقبال الادباء عليها وكثرة اقبال الاميين عليها . فاذا بدأ الاجتماع ، حضر اديب او اثنان ، ثم حضر عشرات لا نعرف من هم حتى اذا انتهى البرنامج جاءوا يسألوننا « فيم كان المحاضر يتكلم ؟ » واستيقنا ان هؤلاء طفيليون نمامون !

وهكذا انفضت رابطة الادباء بالهجر ، فقد هجرها وكيلها ثم سكرتيرها ، وماتت دون ان تصدر لها شهادة وفاة في عام ١٩٥٢ .

ولما سمع ناجي ان الحكومة الاسبانية قلدتني وساما رفيعا ، زارني في « المقطم » مهنئا وكتب ابياتا في هذه المناسبة . ثم انفجر باكيا كالطفل ، لا على وظيفة ضاعت منه ، بل على وصمه بأنه اهل للتطهير وايراد اسمه في اول قائمة المطهرين . وظل يجهش بالبكاء وأنا أواسيه الى ان انصرف . وكنت بعد انصرافه اتوقع قراءة نعيه في الصحف كل يوم لان حالته النفسية كانت في الحضيض ، وقدرته على المقاومة قليلة بسبب هزاله المفرط . ولم يطل انتظاري ، اذ قرات نعيه في الخامس والعشرين من مارس ١٩٥٣ فبكيته كالطفل ، وقلت للمعزين ونحن نتبادل العزاء ، « لقد مات ناجي لا اليوم بل في التطهير » !

هذا ما كان من امر ناجي ورابطة الادباء . وقد حاول محمد ناجي ، شقيق ابراهيم ناجي ان يبعث الرابطة باسم جديد ، فاختار لها اسم « رابطة الادب الحديث » ، فتعثرت محاولاته ، ولكنها استقامت بعد وفاته عندما آلت رياسة الرابطة الى مصطفى عبد اللطيف السحرتي والى العلامة الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ، وما زالت « رابطة الادب الحديث » تواصل نشاطها ، تتعاورها عوامل المد والجزر .

* * *

ويسوقني حديث ناجي الى الحديث عن آثاره المجهولة . فقد عثرت بين كتبي على كتاب عنوانه « من ليالي فينسيا » نصفه لناجي ونصفه لاديب آخر ، وهو كتاب لم يشر اليه احد من الباحثين في تراث ناجي .

اما شعره الضائع ، فقراء « الاديب » يذكرون انني قد نشرت في اعداد متوالية من المجلة سلسلة من المقالات اثبت فيها ما وقعت عليه من شعره المفقود . ثم جاء صديقنا محمود الشرقاوي فنشر في كتابه عن ناجي بعض قصائده المجهولة ، ولو رجع الى فصولي لعرف انني سبقته الى نشرها . واخيرا جاء حسن توفيق في كتابه « ابراهيم ناجي — قصائد مجهولة » فجمع لناجي خمسين قصيدة ، واحدة منها سبق لي ادراجها في فصولي ، اما بقية القصائد فهي حصيلة اجتهاد المؤلف .

والغريب ان حسن توفيق لم يشر في كتابه بحرف الى الجهد الذي بذلته في سبيل استقصاء شعر ناجي الضائع . فاذا كان الكاتب لم يقرأ « الاديب » ، فكيف فاته ان استاذنا الخفاجي قد اشار غير مرة في كتبه ومقالاته الى هذه الفصول . وكيف فاته ان استاذنا الشاعر حسن كامل الصيرفي قد اشار اليها غير مرة في كتاباته في مجلة « المجلة » وكان له فضل تصويب بعض اخطائها ، كما انه كان ينشر احصائية بعدد القصائد وعدد ابياتها التي اهتديت اليها ؟

وعلى كل حال ، لا اريد ان انتقص من قدر الجهد الذي بذله حسن توفيق ، فالواقع انه في بحثه عن ناجي وفي جريه وراء شعره الضائع قد صادفه التوفيق . ولكن من الخطأ القول ان الخمسين قصيدة الواردة في كتابه ، هي كل شعر ناجي الضائع ، فلا بد لاي دارس من ان يضيف اليها ما سبق لي جمعه ، ولا بد كذلك من التنقيب عن جديد من شعر ناجي الضائع استكمالا لديوانه الذي اصابه النحس منذ صدوره .

وفي كتاب « شعر ناجي : الموقف والاداة » للدكتور طه وادي اخطاء يتعين تصحيحها . اما اغاليط النحو والصرف الفاحشة المتواترة في كل الكتاب ، فلننسبها الى المطبعة ترفقا بالمؤلف .

فهو يزعم في صفحة ٦٦ ان للدكتور ناجي ابنا اسمه « عماد » ، والذي نعرفه ويعرفه كل من عاصر ناجي ، هو

انه لم يرزق صبيا وانما رزقه الله ثلاث بنات . اما عماد هذا فزوج لاحدى بناته .

ويقول المؤلف ان للدكتور ناجي ديوانا عنوانه « معبد الليل » ، وهو ديوان لم يسمع به احد لا في حياة ناجي ولا بعد وفاته . وان وجد ، فهو من « شطارة » الناشرين ، ولا ينبغي الاعتداد به في دراسة ادبية .

ناهيك بأن الدكتور عبد العزيز الدسوقي قد نبه الدكتور وادي الى ان « احزان الطفل » — بفتح الطاء والفاء — لا صلة لها بالطفولة البريئة . واذا كان ناجي قد اكثر من استخدام لفظة « الطفل » في شعره ، فان الاستشهاد في هذا المقام « بأحزان الطفل » هو استشهاد في غير موضعه .

اما الشاعر خليل مطران فقد اصبح على يدي الباحث الكتور وادي « خليل مطران خليل » على وزن جبران خليل جبران وكرم ملحم كرم والزجال عبدالله احمد عبدالله والشاعر خليل جرجس خليل !

ولا بد لي هنا من ان اسجل اعتراضي الشديد على الاسلوب الذي اتبعه صديقنا الراحل صالح جودت في كتابه عن ابراهيم ناجي . فقد افرط صالح جودت في استقصاء « غراميات » ناجي ، ولم يكتف بالاشارة الوامضة الى هذه الوجدانيات ، بل اخذ يفصل قصائده تفصيلا على الممثلات والراقصات ، ذاكرا اسماءهن الصريحة حينا ، مكتفيا بالاحرف الاولى من اسمائهن حينا . وحتى لو صحت هذه التخريجات ، فاعتقادي الشخصي اننا نظلم الشاعر ظلما فاحشا حين نلجأ الى هذا الاسلوب . فلو رغب ناجي في ايراد الاسماء الحقيقية او المستعارة لملهماته لفعل ذلك بنفسه كما يفعل في يومنا هذا الشاعر العراقي عبد الخالق فريد والشاعر الحجازي عبد السلام هاشم حافظ . ولكن ناجي كان يقول الشعر ، ولا يسمي بطلة « اطلاله » او فارسة « ليالي قاهرته » . فلم نورطه في استنتاجات قد تكون صحيحة او غير صحيحة ، والقارىء يصدقها اذا قراها لصالح جودت الذي كان من ندماء ناجي الملازمين .

وقد كلف المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب صديقنا الشاعر الراحل محمد مصطفى الماحي (المتوفى في ٧ نوفمبر ١٩٧٦) ان يعد دراسة عن الدكتور ابراهيم ناجي ، فقام بانجازها ثم تكرم فأطلعني على مخطوطتها ، لا سيما وهو قد رجع الي في كثير من مواضعها . وكانت نصيحتي للماحي ان يطرح اجتهادات صالح جودت حول غراميات ناجي ، وان يعالج شعره الغزلي علاجا ادبيا مجردا دون اشارة الى هذه الممثلة المربوقة او تلك الراقصة الناشئة . ولكن الماحي لم ير ما رأيت ، ولا ادري ما مصير هذه المخطوطة بعد ان عدا الموت على شاعرنا الماحي الكبير . (وهناك شاعر آخر اسم محمود الماحي غنت له ام كلثوم احدى قصائده وقد توفي في سن الشباب من سنوات) .

* * *

ذهبت مرة الى عيادة الدكتور ناجي لا كمريض بل كصديق فوجدت قاعات الانتظار والممرات مليئة بخزائن الكتب . وتوهمت ان الكتب وقف على الطب والجراحة والاقرباذين والفارماكوبيا ، ولكنني تبينت ان الكتب خليط عجيب من كتب العلوم وكتب علم النفس وكتب الطب وكتب الادب ودواوين الشعراء وكتب السياسة ، وهي بثلاث لغات : العربية والانكليزية والفرنسية . وابديت اهتماما خاصا بكتاب باللغة الانكليزية عن « مصر في الحرب العالمية الثانية » لمحرر جريدة « لا بورص اجيبسيين » جان ليجول . فبادر ناجي الى رفعه من مكانه ثم كتب عليه عبارة اهداء قائلا : هذا كتاب اهدانيه واحد من مرضاي بعد ان تم شفاؤه ، فهو لك .

وكان كلما رآني حاملا كتابا ، سألني : ماذا تحت ابطك ؟ ثم اخذ الكتاب وتصفحه وقال : « ارني ما تقرأ اقل لك من انت » . فقد كان ناجي قارئا مستوعبا هاضما ، وكان اذا سئل عن كتاب جديد ، اجاب على التو ، ساردا موجزا وافيا له .

وان الاهتمام الذي وجه الى جمع شعر ناجي ينبغي ان يسايره اهتمام مماثل بجمع نثره . صحيح انه كان يرتجل المحاضرات والاحاديث ، ولكنه كان يعد شيئا كثيرا منها في نص مكتوب ، ثم لا يبالي ان نشر او لم ينشر . زرته مرة في مكتبه بوزارة الاوقاف ، وقلت له ان احدى المجلات اللبنانية وسطتني اليه ليكتب لها مقالا . فتناول القلم ، وكتب المقال على اوراق التشخيص (الروشتات) ثم قدمه الي . ولم يسألني بعد ذلك هل نشر المقال او لم ينشر . بل لقد قال لي مرة ممازحا — ولعله كان جادا — ان كثيرا من الفصول التي ادبجها تظهر ممهورة بامضاءات اولاد الحلال !

اجتررت هذه الذكريات عن الصديق العزيز ابراهيم ناجي بعدما رأيت ان دارسيه الجدد لا يعرفون « ناجي » الا من العنعنات . بل لقد زعم واحد من الدكاترة ان الشاعر « ناجي » مات مكرما معززا من الجماعة ، وهو كذب على التاريخ الادبي ، لان الجماعة هي التي قتلت « ناجي » حين اجرت عليه احكام التطهير الجائرة . وكل ذنبه — كما قال ابو شادي في رثائه — **انه شاعر شعر .**

القاهرة **وديع فلسطين**

حول مفهوم جديد المدرسة الادبية في ضوء النقد الحديث

بقلم الدكتور محمد سعد حسن فشوان

مدرس الادب والنقد بجامعة الازهر

* * *

يرى كثير من النقاد ان « المدرسة » لا بد من ان يتوفر لها مذهب ادبي يصدر عنه اعضاؤها جميعا ، فالكلاسيكية مدرسة ، والرومانسية مدرسة ، والرمزية مدرسة ، وهكذا ، ومن هؤلاء الدكتور محمد مندور ، والدكتور شوقي ضيف ، والدكتور عبد العزيز الدسوقي وغيرهم .

وهذه المدارس تقوم — في الغالب — على فلسفة خاصة تنبع قبل كل شيء من تيارات الحياة وتخلقها ضروراتها الملحة ، ثم تقيض لها من ينادي بها ، ويضع لها من الاسس والمبادىء ، والاهداف والغايات ما يجعلها حقيقة واضحة في عالم الثقافة والفكر ، وهذه المدارس يكثر انصارها بعد ذلك في جميع انحاء القطر الواحد ، وفي انحاء العالم المتحضر تقريبا ، اذ يصبح كل من ينتهج مبادىء مذهب من تلك المذاهب ، ويعمل من اجل انجاح اهدافه التي رسمها له دعاته الاوائل عضوا من اعضاء ذلك المذهب او واحدا من تلك « المدرسة » .

اما « الجماعة » او « الجمعية » فهي تنظيم خاص ، توجده ظروف خاصة في منحى خاص من مناحي الحياة ، وهو في المحيط الادبي لا يشترط فيه التقيد بمذهب من تلك المذاهب ، فان قيد اصحابه انفسهم بمذهب خاص كان ذلك التنظيم « مدرسة » والا فهو « جماعة » وكفى ...

غير ان بعض النقاد والدارسين قد تخبطوا في اطلاق تلك المصطلحات على تلك التيارات الفكرية ، والاتجاهات الادبية في العصر الحديث .

فالدكتور احمد هيكل في كتابه « تطور الادب الحديث في مصر » يطلق لفظة « اتجاه » على مدارس الشعر في العصر الحديث ، فمدرسة البارودي او المدرسة المحافظة يقابلها « الاتجاه البياني المحافظ » ، ومدرسة اصحاب المذهب الجديد في الادب (شكري والمازني والعقاد) يقابلها « الاتجاه التجديدي الذهني » ومدرسة ابولو يقابلها « الاتجاه الابتداعي العاطفي » دون ان يدرس ماهية « المدرسة » الادبية ، ويحقق القول فيها .

والدكتور عبد العزيز الدسوقي في كتابه « جماعة ابولو وأثرها في الشعر الحديث » قد اعلن عن تخبطه في هذا الكتاب من اول الامر فبعد ان يقول : « ولقد اتيح لي خلال اعوام ، وبفضل هذا الكتاب ان اعيش بقلبي وعقلي وذوقي مع شعرنا المعاصر ، وحددت خلال هذه المعاشرة الحميمة ثلاث مدارس شعرية : ١ — مدرسة البعث ، ومن ابرز اعلامها البارودي ، وشوقي ، وعبد المطلب ، وحافظ ، ٢ — مدرسة التجديد ، ومن قادتها العقاد وشكري والمازني ، ٣ — مدرسة ابولو » .

ثم يقول بعد ذلك بقليل : « ولم اشأ ان اطلق على كل هذه التيارات الثلاثة اسم « مدرسة » حتى لا اقع في جدل حول ماهية المدارس الادبية ، ولهذا اطلقت على كل تيار من هذه التيارات الثلاثة « جماعة »(١) .

ويقول صالح جودت في ديوانه « ليالي الهرم » : « تعثرت في الدراسة لانني اتصلت « بمدرسة » جديدة في الادب والشعر والنقد كانت ناشئة يومئذ سنة ١٩٣٢ ، ولكنها على حداثة سنها كانت اشد ما تكون ازدهارا وتأثيرا في الادب المصري الحديث وهي مدرسة ابولو »(٢) .

ثم يعود فيقرر انه من الخطأ ان نقول عن « ابولو » انها مدرسة شعرية ، يقرر هذا صراحة ، ويثبته في كتابه الذي اصدره عن : « م.ع. الهمشري .. حياته وشعره » معللا لذلك بأنها حركة لم تلتزم بمذهب معين من مذاهب الادب ، ولذا فان سمة « المدرسية » منفية عنها(٣) .

ويقول السحرتي في كتابه : « النقد الادبي من خلال تجاربي » : « وعند اتصالي (بجماعة) ابولو تلون اسلوبي الواقعي بلون مزدهر ، وكتبت في النواحي الرومانسية » ثم يقول : « وفي رحاب « مدرسة » ابولو دبجت القصائد منذ عام ١٩٣٤ الى عام ١٩٤٢ »(٤) .

وفي ظني ان من تمسك باشتراط « المذهب » في قيام « المدرسة الادبية » قد طبق او حاول ان يطبق الفكر الغربي الغريب عنا — الى حد ما — تطبيقا حرفيا في ادبنا ، ناسيا ما بيننا وبين هؤلاء من فروق في الجنس والبيئة والثقافة والفكر وغير ذلك .

فالاتجاهات المختلفة ، والنزعات المتباينة في الغرب لم تأخذ صفة « التمذهب » الا بعد ان وضعت لها الاسس الفكرية المحددة ، والا بعد صدور اللائحة التفسيرية — مع التجاوز في التعبير هنا — التي تحدد طبيعة المذهب ، وتحصره في اضيق نطاق(٥) .

واذا كانت هذه المذاهب لم تنشأ في الغرب ، ولم تبدأ في الظهور الا بعد ان فرضتها الضرورات الملحة ، وتضاريسها القاسية ، فان شيئا من ذلك لم يحدث في مصر ولا في غيرها من الاقطار العربية الاخرى ، لان ظهور تلك

« الاصطلاحات » التي تميز بين مذهب ومذهب ، انما كان تأثرنا بها ناجما عن اتصالنا الفكري والثقافي بالغرب في المقام الاول ، ولم يكن لنا فيها من جهد سوى التبعية والتقليد .

وقد كتب العقاد عن المدارس الصحيحة والمدارس الملفقة في كتابه : « بين الكتب والناس » يقول : « ان الفوارق بين المدارس الصحيحة والمدارس المختلفة كثيرة في النشأة والدلالة ، ولكن الفارق بينهما هو ان المدارس الصحيحة ثمرة طبيعية نميزها بعد وجودها ، وان المدارس المختلفة ثمرة صناعية يسبقها التدبير والتواطؤ قبل ان يعرف لها وجود » .

كما يشير الى ان اصدق ما عرف عن المدارس الادبية والفنية انما عرفه النقاد بعد الملاحظة ، والمقابلة بين ثمرات الفن والادب في عصر واحد او عصور كثيرة وقد تتفرق اجزاء هذه المدارس في بلدان شتى على اوقات متقاربة او متباعدة ، وانها مظهر لحالة طبيعية واحدة تشترك فيها جميع البلدان .

« اما المدارس الملفقة فهي المدارس التي تسبقها كلمة « هلموا » وتتبعها كلمة « لبيك » ، ولا تدل على حالة طبيعية غير حالة المرض والخبل والادعاء ، وهي حالة طبيعية في تعليل ثمرات العبقرية »(٦) .

وكان العقاد يغمز بذلك مدرسة ابولو الشعرية ورائدها ابا شادي من طرف خفي — في ما أرى — بعدما كان بينه وبين تلك المدرسة من عداوة وملاحاة .

وفي رأيي اننا لسنا مطالبين بالضرورة بأن نتتبع آراء الغربيين وافكارهم ، ومذاهبهم في الادب والفن وغير ذلك ، او ان نقتفي آثارهم في حرفية مملة ، وتقليد مسف ، ان في ذلك لظلما كبيرا ، واجحافا عظيما لا يبرره شيء من الواقع او التاريخ .

اننا لا نحتج على الاخذ من الغرب ، ولا نضع العراقيل بيننا وبين الافكار الراقية في العالم ، ولكننا حين نأخذ يجب ان نجعل اخذنا في حذر ، خوف ضياع شخصيتنا العربية بين ركام التقليد والاحتذاء ، وان نجعل غايتنا كذلك ان نحافظ على تراثنا العربي الخالد .

وقد حاولت في الدراسة التي قدمتها عن « القصيدة عند شعراء مدرسة ابولو » لنيل درجة الدكتوراه من جامعة الازهر ان اضع مفهوما جديدا « للمدرسة الادبية » ، وأملت كثيرا في ان يشق ذلك المفهوم الجديد طريقه الى فكرنا المعاصر ، مقدرا ان توجه اليه من بعض نقادنا بعض النقود لاختلاف الرأي بيننا ، غير انني قدرت ايضا ان اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية ، وانني سوف اجعل صدري متسعا لتقبل اي نقد يوجه الي في وضع هذا المفهوم ، كما انني سوف ادفع عنه اي هبوب ثائرة تحاول طمسه او تشويهه بكل ما في جعبتي من الادلة والبراهين .

ويقوم هذا المفهوم على امرين :

اولهما : التعريف اللغوي ، والاصطلاحي «للمدرسة» الادبية .

ثانيهما : الاعتماد على النص الادبي ، والنقدي الموثق ، والاجتهاد في نسبة تلك النصوص الى اصحابها لانها تعين — في رأينا — على الاقناع كما انها تساعد على الاقتناع .

واذن .. فما « المدرسة » او ما المفهوم اللغوي لها ؟

جاء في المعجم الوسيط — الجزء الاول ، في مادة « درس » : المدرس : مكان الدرس والتعليم ، والمذهب (مو) — اي مولد — يقال : هو من مدرسة فلان اي على رأيه ومذهبه (ج) مدارس .

هذا هو تعريفها في اللغة ، وهو تعريف اخص ما يرشد اليه انه اذا كون شخص ما لنفسه مذهبا معينا ، او رأيا او عدة آراء في منحى خاص من مناحي الحياة ، وتبعه في ذلك بعض الناس ، مؤمنين بآرائه معتنقين لمذهبه كان ذلك التكتل « مدرسة » وهذا التعريف اللغوي على ايجازه يشير الى ما اشترطه البعض في قيام المدرسة الادبية من شروط .

هذا هو التعريف اللغوي بعمومه وشموله ، فماذا تعني « المدرسة » بمفهومها الفني الدقيق ؟ الحق انني لم اجد من بين كتب الادب من اشار الى ذلك ، ولكني وجدت علماء مصطلح الحديث يشيرون الى الشروط التي تراعى في مدارس الحديث ، فاستأنست بآرائهم في ذلك ، وراعيت ما بين « الادب » و « الحديث » من فروق ، من اجل ان يصبح حديثنا عن المفهوم الادبي « للمدرسة » صحيحا في غير التواء او تعقيد .

فمن تلك الشروط (وجود الشيخ) ، وتكون مهمته محصورة في توصيل الرواية كما حفظها عن شيخه السابق ، ليبلغها تلميذه الى من يليه ، وهكذا .

وجعلوا من صيغ الاداء : سمعت وحدثني ، ثم اخبرني ، وقرأت عليه ، ثم قرىء عليه وأنا اسمع ، ثم انبأني ، ثم ناولني ، ثم شافهني بالاجازة ، ثم كتب الي بالاجازة عن فلان ، وقال ، وذكر ، وروى ، ثم اوصى ، ثم وجدت بخطه ، واقواها اولها ، ثم ما يلي الاول احط في القوة وهكذا ، ويشترط الاذن بالرواية في المناولة والوصية والوجادة »(٧) .

ومعنى هذا انه لا بد من وجود الاستاذ والتلميذ ، ثم الفكر الذي هو الصلة المشتركة بين الاستاذ والتلميذ ، ولا بد من ايمان التلميذ بفكر استاذه ، وان يتأثر به عن طريق صلته به ، وتتلمذه عليه ، وان يجيز الاستاذ تلميذه في ما اخذه عنه .

وعلى ذلك اذا جاز لنا ان نطبق هذا المفهوم على حركة ابولو الشعرية ــ مثلا ــ باعتبارها حركة اختلفت الآراء حول منزلتها من « المدرسة » و « الجماعة » ــ كما سبق ان بينا ــ فاننا سوف نجد لهذا الاستاذ تلاميذ اقروا بأستاذيته واعترفوا بريادته ، وسوف نجد كذلك تلك الرسالة التي حملها هذا الرائد الكبير ، والتي تقوم في بعض ما تقوم عليه على « الايمان بالتعاون والاخاء الادبي بين الادباء والشعراء » وهناك من النصوص الموثقة ما يثبت ذلك ويقرره .

ولقد احس ابو شادي بأستاذيته لهذا الجيل من الشعراء الذين ساروا في ركابه ، فنحن نراه يقول في عام ١٩٢٨ م اي قبل انشاء جمعية ابولو بأربع سنوات تقريبا : « وما دامت هذه الكلمة وكثيرات من اخواتها موجهة الى الناشئة الذين يقراون لي ، ويعنون بملاحظاتي النقدية في الادب والاجتماع ، فبودي ان يؤمنوا بمبدأ التنقيب والاطلاع الشخصي »(٨) . ويقول في مجلة ابولو : « ــ هذا ما نحاول ان نؤديه ، وان نغرس مبادئه في نفوس الزملاء ، عاملين على ان نجعل من هذه المجلة مدرسة اصلاحية »(٩) .

ويقول عبد العزيز عتيق في دراسة له عن ابي شادي : « وعسى ان اكون قد وفيت لهذا الشاعر بعض حقوقه ، فكم له علينا وعلى الادب والشعر من اياد بيضاء »(١٠) .

ويقول السحرتي في مقدمة ديوانه « ازهار الذكرى » : « فما انس لا انس ابدا اثر هذا الشاعر العائش كالراهب في صومعة الفن والعلم صديقي الاستاذ احمد زكي ابو شادي الذي حبب الي فن الشعر ، وكنت زاهدا فيه قبل اتصالي به وبمدرسة ابولو » ثم يقول : « وهل ينسى شباب هذا الجيل فضل هذا النابغة ، وقد وجهه الى الشعر الفني ، وعلى الطلاقة البيانية ، وشق له طريق التجديد ؟ »(١١) .

اما الرسالة التي حملها ابو شادي ، ومن بعده تلاميذه التي تنشد التجديد الفعلي في رسالة الادب والشعر ووضع قيم جديدة له فتعتمد على الثقافة الواسعة ، والذوق الرهيف ، وان يكون الشعر تمثيلا صادقا للحياة وروحها الحرة الطليقة ، ولقد كان ابو شادي يؤمن بأن فرض المذاهب والآراء على الشاعر لا يجني الادب من ورائه سوى تضليل تلك المواهب الشعرية الناشئة ، ولكنه لا يطالب الشاعر بشيء سوى الحياة وان تكون تلك الحياة رفيعة سليمة تتكافأ مع ما للشعر من قدسية الفن وجلاله » (١٢) .

وهذه الدراسة على ايجازها وتركيزها ربما تجرنا الى دراسة اخرى اكثر اتساعا وشمولا نكشف فيها عن بعض الجوانب الخافية في هذا الموضوع الذي احس ازاءه بأنه لا يزال في حاجة الى مزيد من التوضيح والبيان ، توخيا للوصول الى المفهوم الدقيق « للمدرسة الادبية » ، ورصد ما بينها وبين الجماعة الادبية من اتفاق وافتراق ، الامر الذي يعود بالفائدة المؤكدة على الدراسات الادبية في عصرنا الحديث .

---

(١) ــ جماعة ابولو وأثرها في الشعر الحديث للدكتور عبد العزيز الدسوقي ــ القاهرة ص ٨ وما بعدها .

(٢) ــ ديوان ليالي الهرم لصالح جودت ــ ص ٤ .

(٣) ــ م. ع. الهمشري حياته وشعره ، طبع الهلال ــ ديسمبر ١٩٧٤ ص ٥٣ .

(٤) ــ النقد الادبي من خلال تجاربي لمصطفى عبد اللطيف السحرتي ص ١٥٧ .

(٥) ــ انظر : ثورة الشعر الحديث من بودلير الى العصر الحاضر د. عبد الغفار مكاوي ــ طبع القاهرة .

(٦) ــ بين الكتب والناس ، للعقاد ص ٧ .

(٧) ــ مصطلح الحديث للعلامة الشيخ عبد الغني محمود ــ الطبعة الثانية ١٣٣١هـ/١٩١٣م مطبعة الفتوح الادبية ــ القاهرة ص ٤٥ .

(٨) ــ مسرح الادب لابي شادي ــ ص ٢٠٨ .

(٩) ــ مجلة أبولو ــ المجلد الثاني ، نوفمبر ١٩٣٤ ص ٣٥٠ .

(١٠) ــ ديوان أنداء الفجر لابي شادي ص ١٠٨ ــ الطبعة الثانية ــ القاهرة .

(١١) ــ ديوان أزهار الذكرى للسحرتي ص ٣ .

(١٢) ــ انظر ديوان الينبوع لابي شادي ــ ط: القاهرة ــ ص : ش.

القاهرة **محمد سعد حسن فشوان**

الينابيع .. دروب .. ومفارق ..

مهداة لاخي الصديق الاستاذ محمد حسن فقي تجاوبا مع قصيدته « هذه سبيلي » . ومطلعها :

اتتعذرني في الشوق ؟ ام لست تعذر ... وهذا الهوى .. هذا البلاء المسيطر

احمد قنديل

*

عذرتك !! فاصدع بالهوى الحر يجهر ... وبالشجو .. منغوم الشكاية . يجأر
لدى ساحنا المعطاء، جفت على المدى ... ينابيعه الكبرى .. فلا تتفجر
حبيسة اسوار .. تخلت واحجمت ... عن الشح مدرارا .. بما جاد يمطر
على الطود،اغرى السفح بالرمل لاعبا ... على السهل والوادي به الليل مقمر
فعاثت باطراف الحقول .. بغاثها ... تزقزق.. كالفرخ الصغير .. وتصفر
ولاثت باكناف الرياض .. طيورها ... تلوب .. فتضوي بالمكوث.. وتضجر
فتاه الصدى .. رجعا تخافت صوته ... تساوى .. لديه .. شاعر وشويعر

وضاقت خطى .. باتت تسير وئيدة ... على دربنا المغبر .. تدنو وتدبر
فقد عج بالساحات.. نمل ـ تقاطرت ... قوافله .. مأجورة .. تتكثر
تزاحم في ظل الروابي .. تفردت ... بلابلنا .. مغلوبة .. تتذمر
تحن الى دنيا النفوس .. طليقة ... تحس بانماط الجمال .. وتشعر
فلا تجد الليل الطروب بناسه ... على شدوه الحالي تبيت وتسمر
ولا الامس تياه المحيا .. تسممت ... براحته .. روحا به تتعطر
ولا جلسات الفجر والصبح والضحى ... ولا عبق الآصال .. تزهو وتزهر
فضاقت بعج اليوم . ضج . وابلست ... وحار .. بها .. اطراقها المتحسر
فاقفلت الدرب الفسيح لشاعر ... تغنى بها حينا من الدهر يذكر
واوصدت الابواب دون حياتنا ... هوى غاله من ليس للحسن يقدر

فبتنا كاسراب الحمام .. تفرقت ... على جنبات المنحنى .. تتعثر
كأن لم يعد للبدر للرمل بيننا ... لصحرائنا السمراء.. للعين.. منظر
فلا رنة الاوتار اشجت اليفها ... زمانا .. لها مسترجع .. ومكبر
ولا عادت القمراء مهوى خيالنا ... مراحا ومغدى .. بينها نتبختر
ولا بات مرأى البحر يصبي قلوبنا ... ولا الموج .. في اسماعنا .. يتكسر
ولا طابت الاسمار .. طابت قصائدا ... تأنى بها اعلى المعاني .. فتسكر

فمـا عاد للنفس الرضية بيننـا   مكان .. ولا للشعر صحب ومعشر
ولـم يبق الا مـا لهونا بشأنه   وما عنه اهل المال .. بالمال . عبروا
تناكرت القربى لدينا .. تقطعت   أواصر .. قد أمسى عليها يسيطر

كذاك عدنـا .. والحياة بعيشها   رغيدا .. اسارى الفها ليس ينكر
يكبلها فيهـا النعيم .. رفاهـة   تعودها .. منا .. مقل .. ومكثر
بـه قيدنا المآسي بـات محببـا   الينا .. له تهفو الجسوم فتقبر
يراودنـا في كـل يـوم وليلـة   بكـل جليب .. للطبائع .. ياسر
ليسلبنـا روح الحيـاة اصيلـة   بها .. ولها تحيا النفوس وتعمر

لقد مر ركب الامس .. كنا بفوجه   شبابا .. وآمالا تطـول وتقصر
فقـد كان مدعاة الاماني رحيبـة   فطابت بـه احلامنـا .. تتدثـر
وفر الزمان الضاحك الصبح والمسا   فمعسرنا العافي .. بما فيه .. موسر
وكنـا على دوراته .. ان تقلبت   علينـا .. بأسباب الاسى نتندر
فكل له .. في منزع الصبر .. منهج   وكل له قلب ـ من الانس .. اخضر
نكد .. ونشقى ساعة لا نملهـا   ونسلو .. ونلهو ساعة لا تؤخر
وكان لنا .. بالفن .. رأي وفكرة   وللفكر.. او للشعر.. بحث ومصدر
وكان لنا .. في قلب مكة عامرا   وبين الرياض الخضر.. دف . ومزهر
وبالثغر .. اصداء تلاغت طيوفها   على الرمل.. زفتها شطوط.. وابحر
فانى سلكت الدرب بـين ربوعنا   فبـين مغانيها الحلاوة تقطـر
فبالريف موصول الحداء .. لشدوه   تلفت واستاناه ريـم .. وجؤذر
وما بين ترنيم العقيق .. ووجنا   ودون الثرى.. للماء.. مجرى وكوثر
وفوق البساط السندسي .. وحوله   مجالس .. ناداها الربيع المبكـر
اقام لها الوسمي .. وقد هل محفلا   فلبته للروضات عجلى .. تبكـر

كذلـك كنـا ـ والطبيعة ثـرة   تنادى اليهـا ذاكر .. ومذكـر
لدى الحقل بساما .. تجارت طيوره   لغدرانها .. تهفو .. تعب .. وتنقر
لدى الروض صداحا به الفجر والضحى   شبيهان بالاوصال .. زاه .. ومثمر
اذا ما تغنى .. فيهما بين غرسة   وشدو خرير .. همسه ليس يفتـر
على الفرع .. قمري يناغي يمامة   وبالدوح.. صداح على الغصن يخطر
تماوج ريحـان .. وأشرق عشرق   وهلل نعناع .. وهفهف سعتـر
وهبت على قيصومنـا .. وعرارنا   نسيم الصبا .. ميادة . . تتأطر
كمثل بنات الحـي .. لوحن للهوى   بأعينهن السود . . تنهى وتأمـر
تماسكن .. صفا . بالاكف .. تمايلت   بهن قدود .. عـن جوانا .. تعبر
تلوح لدى مجرى الغدير .. وتختفي   لتلعبن بالمهجات .. تبـدي وتضمر
وسرن .. ولم يحجلن بالخطو راقصا   كسرب القطا .. عن مثلنا ليس ينفر
فكن لنا مثـل الفراشـات رفرفت   علينا .. فحول الزهر منهن محضر
اتين الينا .. من بعيد .. كما اتت   شوارد غزلان .. تميـل وتنظـر
يشاركنا عرس الطبيعـة زاهـرا   كمثل بنات الشعر ـ بل هن ازهر

عذرناك! فاصدح كيف شئت .. فاننا   كما خلت، نصغي .. حين نصبو فنعذر
فنحن هنا .. اهل الجمال .. وناسه   له .. بيننا ، مستأنس .. ومقدر
الى الحسن نهفو ، حيث للحسن ننتمي   سجية طبع .. رق – لا يتغـــير
لنا الشعر .. منا سار بالركب حاديا   يسطر ايـات الهوى – ويحبـــر
يرتلها في مسمع الكون .. صاغيـا   وراويـة .. او حاكيـا يتنـدر
ولا زال .. لولا صوتنا اليوم خافتا   حبيس جدار بينه اليـوم يقبـــر

حنانيك .. انـي قـد أبتك صورة   الح بذهني .. لدهـــا المتـطور
الى الجانب الادنى لقلبـي لمسمعي   الاح بهـا فـن ... وحس مصور
فانت بما تجلوه .. ليـــلا مسهدا   وفجرا وضيئا – انت عنها المعبـر
اعدت بها في قلب مكــة شاديـا   لنا عمرا .. في ساحها يتبختـــر
تصوغ لنــا دقات قلبك .. راويـا   حكايات حب .. عرفهـا بك ينشر
تمالت بهـا الاعراف نشوى طليقة   مهفهفة .. مـن قيـــدها تتحرر
مجنحة الاطراف .. عافت سماؤها   رخيص الهوى .. بين الثرى .. يتعفر
فصل دربك الاعلى لدينا .. وصل به   مسيرة رهط .. عن رفاقك تسفر
وموكب اجداد .. تطلع عصر هـم   الينـا بطرف الامس جازتـه اعصر
فمنا الذي .. للجد .. عاش مقلدا   ومنـا الذي – بالمجد .. لا يتأثر
فقد جات الاهداف للشعر .. غايـة   بها اليوم .. مزهوا .. يجل ويكبر
عليها تلاقينا .. وفيها على المـدى   تعاظم ما نسعى لـه – ونفكـــر
تشاكل امسانا القريبان .. منهجـا   فامسك مقروء .. وامســي مسطر
وعـانق يومانا الحديثان عصرنـــا   يحيط به كون مـن العصر انـــور
فلا الشعر ينسانا تحور بعـــدنا   ولا نـحن ننساه .. ولا نتحـــور
فلم اغف عنه .. حاليـا متجددا   ولم تغف عنه .. عاليا .. يتطـور
واني به الصادي الفؤاد وما ارتوى   وانـك فيـه .. بالجوى تتضـــور
فانت الذي اهديتنيـــه .. قصائـــدا   روائعهـــا .. ما بيننـــا .. تتكـــرر
اجبتك عنها .. فاستجبت وقد مضى   سبيلك هذا .. عن سبيلي .. يعبر

وقالت بنات الحي .. حسبكما الهوى   فان الذي نرجوه .. اغلى واكبـــر
اليس لنا .. في مطلع الشعر منكما   على الجسر .. منهاج مبين .. ومعبر
لقد طال فينا الرأي .. بان جهـيره   وما بان فيـــه الصـــامت المتستـــر
اليس لنا بين الحياة .. جـديـدة   حقوق حياة .. لا تضل .. فتهـدر
فأنا بدنيا الحب .. للحب فطـــرة   خلقنا .. ولكن للذي هـو اطهـــر
فلا نشتهيه لاهيـــــا .. متلهيـــــا   بما حان .. ما قدسف للقاع يحدر
ولا نرتجيه عابثــــا .. متدنيـــــا   معيبا .. وموسوما بما هـو أقذر
نكرناه غربي المطامع .. جامحـــا   الى غاية رهن الغوايات يســـدر
وعبناه شرقي الملامـح .. تائهــا   تأرجح .. بالتقليد للغير .. يخسر
ولكننا .. امـــا واختا وزوجـــة   وبنتا .. بكم منكم نصان وننصر
رجوناه مهوى اليوم والعصر نبتني   به بهما البيت السعيد ، ونفخر
ونسهم في الصرح العلـي بجهدنا   جهادا .. وقد عشنا له نتحضر
نصون مقام الحي مـا هان قيمة   ونعلي مكـان النصف لا يتقهقـر

تعاقبت الاجيال . والنصف مهمل بموؤودة في القاع ترمى وتقبر
فانصفنا الدين الحنيف .. مؤكدا حقوقا لنا نحن النساء تؤزر
حقوقا تناهت .. انكرتها على المدى وبين ظلام الجهل واليأس .. اعصر
الا يدرك المزجي الكلام منمقا تساوى بمن في قوله يتنمر
بأنا عبرنا الجسر .. نمشيه .. ثابتا لنقطعه .. شوطا ولا نتأخر
مواقفنا في صحوة الفكر .. لامعا وفي ضحوة الاسلام اعلاه منبر
انافت به جداتنا الصرح عاليا ولما تزل آثاره .. فتنظروا
فلم يهمل التاريخ ما كان حافلا ولم تنكر الايام ما بات ينكر
الا فلتثبرا ما رجوناه .. اننا كمثل بنات الشعر .. بل نحن اجدر

عذرناك ! لا عذل يجوز لشاعر يحوز الرضا .. انا به اليوم نفخر
كما افتخرت بالامس كل قبيلة رجته لدنياها .. يثير وتثأر
فأعلى مكانا .. للقبيلة .. أو زها بأنسابها .. في قمة تتصدر
وابرز مسماها .. واجلى خصالها وذاد عن الحوض الذي لا يكدر
كما صنع الغرب المؤثل .. بعدنا لشاعره .. ما لا يعد ويحصر
فأكرمه – بل كرم الدهر ذكره فشاعره الموهوب رمز مقدر

عذرناك ! انا قد اعذناك بالرقى رقى الشعر قد دوت، كما الرعد تهدر
به صوتنا .. للحق .. اعلى مقامه جهيرا .. فصوت الحق بالحق اجهر
وكنت .. وما زلت .. الوفي لاهله فحسبك مني اليوم .. هذا المسطر
وحسبك من هذي الدروب تلاحقت خطاي بها .. في النهج .. قد تتعثر
فانك منها بالهوى الحر .. تائها على ما عداه .. باعث .. ومؤثر
وحسبي اني اليوم للامس هاجس وللرأي فيه .. قاطعا .. متخير
وقد يخطىء البادي، من الطور مشرفا مفارق سفح .. بينه .. تتغور
يجوز بها الداني اليفا – طريقه كما جازه اليربوع .. حاذاه قسور
فما! تاه عن مألوفه .. متعود ولا مل ابعاد الذرى متحير
واني بها .. رهن السجية حرة عن الصوب .. لا الوي .. ولا اتحور
سلكت دروبي كيف شاءت طليقة من العرف .. قيدا .. دونها يتكسر
واني بما اوحته – للرأي بعدها وللفكر مرهون – فبالفكر اصدر
وما انا ان يعل الغرور لاجلها بما اتحرى .. منذر او مبشر
ولكنني بالحب للحب .. بالوفا وفاء لقومي .. في مداري – مسير
وهبت عزيز العمر، طالت على المدى مراميه – واستعصى عليه التكبر
لهم تربة – ناسا – وارضا حبيبة فما بسواها نرتضي .. اذ نخير
فأيان تلقاني .. تجد روح تربتي وريحانها .. نغما، بها النغم اعطر
وها انا ان يعل الغرور لاجلها برأسي – كما تعلو لدى الجوانسر
لاهلي ! بدربي ! في حياتي ! وللهوى وبالشعر يحلو ! رائد متحرر

الرياض – السعودية

احمد قنديل



وحيد الدين بهاء الدين

وديع رشيد الخوري كما عرفته

بقلم وحيد الدين بهاء الدين

* * *

باشارة من صديقي : الشاعر جورج صيدح والدكتور سليمان داود بعث الي وديع رشيد الخوري ، الشاعر المهجري المنسي ، الذي لم اكن قد عرفته وسمعت به من قبل ، بنسخة من كتابه « ظهور وتطور الادب المهجري » ، توطئة لعقد صلة وجدانية وفكرية بيني وبينه ، وتنبيهي الى ادب المهجر الشمالي من زاوية جديدة لم يطرقها غيره ، وانعكاسه على واقع الثقافة الادبية في الوطن العربي من جهة ، والمهاجر من جهة ثانية ... لقد جاءني الكتاب توشحه رسالة متواضعة مؤرخة بالثامن من تموز ١٩٧٠ ورد بها : « اني سعيد جدا باتصالي بك راجيا ان تقبل هذا الكتاب تقدمة مني اليك ، فاني اعتز وافخر بالادباء الكبار امثالك ... » .

احتواني سرور دفاق بهذه المكرمة وقد انسابت الي عبر القارات والمحيطات ، ومرة اخرى ايقنت ان الادب يتأبى على الزمان والمكان ، وان الاديب صنو الاديب ما دامت روح الفن تتلبس نفسيهما وافكارهما ، وتدعوهما الى التلاحم والتناغم على اي صعيد من الاصعدة .

وبمهماز الوفاء للعرفان كتبت الى وديع رشيد الخوري سطورا صارخة الثناء عليه كانسان والتقدير لكتابه كأثر يعد جديدا بالنسبة الى كثير من المؤرخين والباحثين لما في طياته من لمحات زكية واشارات مضيئة على ادب المهجر الشمالي هذا الذي تولى رئاسة رابطته القلمية جبران خليل جبران وانضوى تحت رايتها شعراء وادباء مشهورون ومغمورون .

وبالرغم من رسالة الشكر التي تلقاها وديع رشيد الخوري مني ، فانه اراد ان يكون بايحاء ذاتي خفي اكرم مني واكثر ابتهاجا بالعلاقة التي طفقت تتواصل بيننا ، فأرسل الي برسالة جديدة ارفقها بنسخة من ديوانه : « نداء الغاب » حيث قال : « استلمت رسالتك وهي تنم عما في روحك الطيبة من رفيع الادب وجمال المشاعر وسلامة الذوق . وما رأيي هذا الا صدى لراي صديقينا الشاعرين الدكتور سليمان داود وجورج صيدح ، فقد استلمت رسالتيهما منذ شهر وفيهما قد شفعا اسمك الكريم واسم الاستاذ جعفر الخليلي بكلمة فواحة العبير عطرة الاريج ... » .

ثم يقول مستطردا : « ليست هي المرة الاولى التي تهب علينا النسمات البليلة المنعشة الطيبة من دار السلام . فعند ظهور كتابي « نداء الغاب » المطبوع في نيويورك ١٩٣٦ استقبلته حينئذ صحف ومجلات عديدة في المهاجر وفي الاقطار العربية فقد ذكرته « الهلال » و « المصور » و « المقتطف » في مصر بكلمة قيمة و « الحديث » في حلب نشرت منه مقاطع مع كلمة عطرة في عددها العاشر ١٩٣٦ وقد نشرت بعض ما جاء فيه من شعر ونشر عدة صحف في لبنان « كلسان الحال » و « الحوادث » و « الانتقاد » و « المراة الجديدة » . وفي بغداد استقبلته مجلة « الحاصد » لصاحبها الاستاذ انور شاؤل استقبالا جميلا ، ونشرت فيه فصلا قيما في عددها ٢٢ ، ٢٤ ايلول ١٩٣٦ ، بقلم الاديب مراد ميخائيل ، ولم ازل احتفظ بذلك العدد » .

هكذا قيد وديع رشيد الخوري عنقي بمأثرتين ، زيادة على جعله اياي غريق افضاله عبر رسائله . ادركت ان لا ندحة لي عن التحرك ولو بعض الشيء لصنع ما هو ذو بال .. نوهت بالكتابين اللذين بين يدي ، وهذا اضعف الايمان ، بعد قراءتهما بشوق وتأن ، مركزا على جهوده التي لا تذهب سدى امام التاريخ الادبي ، والتي فاقت جهود بعض الآخرين من شعراء المهجر الشمالي الذين لهم اسماؤهم دون انتاجهم كوديع باحوط وامين مشرق ووليم ياتسفليس . كذلك ابردت له ببعض مؤلفاتي تذكارا لعهد ، واعرابا عن ود .

ويبدو ان وديع رشيد الخوري ارتاح مما كتبت اليه ، فكان رده علي صريحا جريئا بصدد ما اشتجر واثير حول الشعر والفكر في ديار المهجر الشمالي ثم قال : « ادامك الله اديبا فذا ونفعنا الله بنتاجك الجميل القيم ، فانا من المفتخرين بك والمعتزين بصداقتك والقادرين

شخصيتك الادبية قدرها .. وقال عن كتبي التي ادركته : « ولشدة شوقي الى الاطلاع على نفثاتك الطيبة القيت عليها جميعا نظرة سريعة ، فبان لي انها ليست «متواضعة» كما شئت للطف شمائلك ان تقول ، بل هي سامية الهدف ، متعددة المواضيع في الادب الرفيع واضحة العرض والشرح والتوجيه ، تروي الغليل ، غليل كل ظامىء ، الى ارتياد مناهل الادب المعاصر » .

لكن وددت ان يصارحني وديع رشيد الخوري القول في خمول ذكره ، وتعذر بروزه بين شعراء المهجر الشمالي وهل مبعثه عدم انتمائه الى الرابطة القلمية بالذات ، او ان ثمة علة اخرى زهدت مؤرخي الادب المهجري في تناوله والقاء بعض الاضواء عليه . فكتب الي يقول بحسرة : « عند وصولي الى الولايات المتحدة عام ١٩٢٠ وجدت ان معظم ادبائنا وصحافيينا في هذه البلاد يشكون من قلة ذات اليد وفروغ الجيب . وانا لست من محبي المال والثروة وليس ذلك من طبيعتي . ولكني تعلمت من ايام الحرب العظمى ان فارغ الجيب يظل عبدا للموسر الا اذا استغنى واستقل نوعا ورايت ان افضل ما يمنح المرء لذويه ولولده هو العلم فوطدت النفس منذ وصولي الى هذه البلاد على مساعدتهم للحصول عليه . وهكذا ترى انه لم يكن لدي وقت كاف لانتاج اكثر من هذين الكتابين ولولا الحاح الاصدقاء علي مثل ابي ماضي وعبد المسيح وندره حداد وسليم ذيب وغيرهم لما انتجت ما انتجت ، لان الشيء الاولي عندي كان ان امهد الطريق امام العائلة لتحصل على مركز لائق في هذه البيئة الغريبة ... » .

من هنا كان وديع رشيد الخوري يتحسس بمرارة خانقة انه منسي تجاوزه الآخرون لامر او لغيره . لم ينوه احد منهم بشاعريته ، ولم يتحدث عنه غيره كناقد . انه يقول :

« عندما عزم صديقنا الشاعر جورج صيدح ان يغادر فنزويلا مارا بنيويورك ، دعاني صديقي المرحوم ايليا ابو ماضي ، الى نيويورك للتعرف الى صيدح شخصيا ، وقد كانت « السمير » ميدانا لاقلامنا . فتعذر علي تلبية الدعوة لما كان في السفر من المشقة في تلك الايام . وبيننا وبين نيويورك مئتا ميل . غير ان ابا ماضي اهدى كتابي « نداء الغاب » الى صيدح قبل مغادرته نيويورك عام ١٩٣٩ . ولعل دعاوة الرابطة القلمية العنيفة المثيرة اثرت في صديقنا الشاعر صيدح كما اثرت في غيره من الادباء عندما كتب « ادبنا وادباؤنا » فاقتنع حينذاك ان اعضاء الرابطة هم مدار الحركة الادبية في المهجر فكان ما كان » . ويواصل قائلا : « ورايي الخاص ان من المنسيين من هم اوفر علما واوسع ثقافة واطلاعا في اوضاع اللغة وآدابها وعلومها من كثيرين ممن ذكروا في المنتخبات » .

وبالرغم من هذه المرارة التي لحقت بوديع رشيد الخوري ، واستدرجته لان يبوح عما به من لواعج الشكوى والاسى ، من جراء تهاون مؤرخي الادب المهجري، على اختلاف مستوياتهم واتجاهاتهم في تقييم انتاجه الشعري والنقدي ، فقد كان يزهد بعد ان تخطت به مرحلة العمر الكبرى في الظهور والتطلع ، مؤثرا السكون الى الظلال والهدوء .

من اجل هذا نويت افراد فصل عن شاعريته في ضوء ديوانه « نداء الغاب » لجدارته بأن يقيم كفنان استطاع اثبات وجوده الادبي ، وكناقد اعطانا اشياء جديدة خافية عن متناول الباحثين والمؤرخين ، وينبغي ان لا تغيب عنهم ، وهم يدرسون ادب المهجر الشمالي وما تخلله وجرى له .

صح عزمي ، فقد نشرت عن شاعرية وديع رشيد الخوري فصلا تحليليا على صفحات مجلة « الضاد » الحلبية وعنوانه « شاعر مهجري منسي »(1) .

ها هو ذا وديع رشيد الخوري يوجه الي ما عن له ، وجاد به ، بعد ان سر بما قلت فيه ، وبعد ان حاولت نفض غبار النسيان والاهمال عنه وقد تراكم حتى استحال جدارا طيلة الاربعين سنة الاخيرة : « اني اشكر لك عاطفتك الاخوية التي اهابت بك الى تحليل ونقد شعري تحليلا ونقدا مستفيضا اعجب الاخوان والخلان ولم يصرف ذهن القارىء عما حوى المقال من جمال وفيض في التحليل والاستقصاء سوى المدى الطويل الذي حال ما بين نشر اول قسم وثاني قسم منه . غير ان للظروف والاحوال كما يبدو احكاما لا نستطيع نقضها ولا تغييرها . والزمن الذي نعيش فيه الآن ليس على شيء من التناسق والاستقرار لذلك فالعلة ليست علتنا نحن بل علة الزمان الذي نعيش فيه ... ادامك الله اديبا كبيرا ماضي العزيمة سامي المقصد في العلم والفن والادب ... » .

في اواخر عام ١٩٧٠ فجعت بوفاة والدي .. حين انتهى النعي الى وديع رشيد الخوري لم يحجم عن مواساتي برسالة تنضح رقة ، وتعبر عن مشاعر انسانية ، في الوقت الذي كان هو الآخر مفجوعا في غمرة هذا العام بحفيد له ، اودى به مرض عضال .. فقد قال : « كتب الي اخونا الدكتور سليمان داود يعلمني بالفاجعة الاليمة التي حلت بكم بوفاة والدكم الجليل . وقد جاءني هذا الخبر على اثر فقدنا حفيدنا « كاري » ابن ابنتنا في مطلع هذا العام في السابعة من العمر . داهمته علة في الدماغ لم تمهله اكثر من سبعة اشهر لم تنجح فيها احدث المعالجات الطبية . وقد كان « كاري » قبلها كالزنبقة نضارة وعطرا . ولذلك

---

(1) ـ هذا الفصل نشر بكامله في كتابي « مباحث في الادب العربي المعاصر » .

زادني خبر فقدكم والدكم الحنون حزنا على حزن والما على الم ... » .

وما كنت بالضرورة عارفا ما دهى وديع رشيد الخوري واخذ منه مأخذا . فأردت بتعزيته وبالاعتذار اليه ، اذا كان قر في روعه تقصيري في حق اداء الواجب الاخوي نحوه ، وقد جمعتنا مصيبة واحدة ، وكنا بها شريكين .

فما كان منه الا ان دبج لي رسالة مكثفة فيها شيء وفير من التواضع والاخلاص ، جاء بها : « ان ما تشعر به نحونا من الالم والاسى للفجيعة المزدوجة التي داهمتنا على غرة ، هو ما شعرت به نحوك عندما انبأني الدكتور سليمان داود بفقدكم المرحوم والدك . وكان ذلك قبل المأساة التي نزلت بنا بفقد اخي المرحوم يوسف في فلوريدا . وقد بدا لي آنئذ ان سيان عند الدهر النبتة الصغيرة التي لم ترتو من نور الشمس ، والشجرة الكبيرة المعطاء بأفيائها الوارفة . رحمهم الله . فما العمل اذن ؟ وهذا الكأس يمر على جميع الناس . ان ما شعر به الانسان الاول عند تأسيس اول جامعة بشرية نشعر به نحن في القرن العشرين تماما : حيرة لا حد لها يكتنفها الظلام واستسلام مطلق لا بد منه وخضوع لمشيئة القوة العلوية ..... الا هذه المخيلة العجيبة التي وصفها اوغسطينس ابلغ وصف حير عقول علماء النفس في هذه الايام . اننا في هذه المخيلة العجيبة نحتفظ برسوم واشباح احبابنا الراحلين وبقدر ما نبتعد عن عوامل التشويش الفكري ، نجد اننا نعيش واياهم جادين الى حياة فضلى واسمى مقصدا من حياة التحسر والتأسي ... » .

ثم على الايام تناهى الي ان جامعة للادب العربي في اميركا الشمالية وكندا على غرار « الرابطة القلمية » و « العصبة الاندلسية » قد تأسست برئاسة الشاعر الدكتور سليمان داود وعضوية عدد من الشعراء والادباء المعروفين وغير المعروفين ، احياء لحركة الشعر العربي ، وتفاعلا مع التيارات الفكرية المعاصرة في الوطن العربي والمهجر ، ومهمازا لمواهب العاملين المندمجين في تلك البلاد الاعجمية النائية .

ذلك كله حداني الى الاستفسار من وديع رشيد الخوري ، وقد انتخب امينا عاما لهذه الجامعة الفتية لعله ان يلقي ببعض الاضواء الكشافة على ما اتوخاه بهذا الشأن وصولا الى وقائع بعينها .

لذا فقد اسرع في الجواب وهو يسوق : « سرني جدا ما عزمت عليه من الاطلاع على آثار « جامعة الادب العربي في اميركا الشمالية وكندا » الادبية ، وقد كنت منهمكا وقتئذ في مراسلة الاخوان « اعضاء الجامعة » ويبعدون عن بعضهم البعض مئات الاميال ، لاعداد المواد من شعر ونثر للعدد الخاص من مجلة « الضاد » وقد توليت هذه المهمة وحدي بسبب مرض العميد الدكتور داود ، واجراء العملية الجراحية له . ولذلك ارجأت الرد عليك الى ان استطعت مخابرة الاخوان لاحقق عن المواد والمجلات والجرائد لتي لديهم فيتمكن الاديب الباحث من رسم صورة ادبية لاعضاء الجامعة . وجدت بعد البحث ان جل الاخوان ليس لديهم دواوين او كتب مطبوعة الا الدكتور داود ونعمة الحاج . فأخونا الشاعر نعمة قد طبع اربعة دواوين في اوقات مختلفة من عمره المديد . ومن اكبر ادبائنا في المهجر الاديب « امين زيدان » . فأمين اديب وشاعر وخطيب وهو متمكن من اللغتين وليس له ديوان مطبوع او كتاب ادبي حتى الآن الا قصة موضوعها « ملكة سبأ » وقد طبعت في العشرينات . وهكذا ترى ان ليس لدينا هنا ما يعول عليه من كتب الادب الا كتاباي : « نداء الغاب » و « ظهور وتطور ... » وديوان الدكتور داود . وستجد في العدد الخاص الوانا مختلفة من الشعر والنثر للكتاب والشعراء الباقين ... » .

وتبلورت صداقتنا الروحية والفكرية غذتها الايام المتداولة وما حبلت بين تضاعيفها من روعة الانسجام وجلال الدراية في مجريات الاحداث والقضايا الادبية والثقافية الدائرة هنا وهناك .

انما كنت اعزز ذلك بتحايا ادبية ازفها اليه تباعا ، وهي المتمثلة في مجموعات من المطبوعات العراقية ، مضافا اليها شيء مما عندي من مؤلفات لم يتسن له الوقوف عليها والنظر فيها .

والمظنون ان وديع رشيد الخوري ، بعد استشرافه هذا الذي طفق يطالع بصره وبصيرته ، ويشبع منازع الرضى والقبول عنده ، نخسه عقله الباطن ودعاه لان يرد الصنيع — وان كان ما كتبته عن شاعريته لا يعد صنيعا بالمعنى الصحيح — الى اهله بالمثل ان لم يستطع بأحسن منه واوفى .

لقد كتب دراسة نقدية منصفة عن مؤلفاتي التي حوتها خزانته ابتداء من « من الادب العربي المعاصر » و « في الادب والحياة » ومرورا بـ « شخصيات من الادب المعاصر » و « كلمات في الرصافي » وانتهاء الى « نظرات في الكتب » . ونشرها في صحيفة« الاصلاح » النيويوركية ، وفي مجلة « الضاد » الحلبية وفي مجلة « قب الياس » البيروتية .

وحداني الواجب الادبي ان اشكر لوديع رشيد الخوري ما أولاه بعض مؤلفاتي من عناية خاصة ، وهو يدرسها محللا مقيما ، ويعقب عليها فاحصا ناقدا ، اذ ما لبثت ان بادرت بارسال رسالة تقدير اليه ، لتمكنه في ما نشر من براعة في التفسير وتعمق في النظرة وشمولية في النقد الايجابي الواعي . هنا ادركني جوابه وهو منشرح الصدر : « ان دراستي في نتاجك الجميل طابت في عيون اخواننا الادباء وكانت عند حسن ظنهم كالاخ وديع فلسطين والاخ الاستاذ محمد عبد الغني حسن وصاحب مجلة « الضاد » الاستاذ عبدالله يوركي حلاق والشاعر نعمة الحاج وغيرهم » .

الا انه يستدرك فيقول : « وكنت قد كتبت فصلا آخر يعوزه التنقيح وأخرني عن تنقيحه وضمه الى الدراسة وعكة صحية داهمت رفيقة الحياة فبقيت في المستشفى احد عشر يوما ازعجتنا جميعا ، لكنها عادت الى المنزل شكرا لله . ولم يكد يسطع النور في سماء المنزل حتى نقحت الفصل الباقي وارسلته منذ اسبوعين الى « الضاد » في حلب ، و « قب الياس » في بيروت وسينشر ان شاء الله » .

ان حديثه عن مرض زوجته كان من الاضطراب بحيث جعلني اتشمم رائحة التشاؤم والسوداوية من بين سطوره المفككة ، وما اكد هذا الذي ذهبت اليه في نفسي ، واوجست منه خيفة ، الا ما انطوت عليه رسالة جديدة منه قال فيها : « اشكر لك عاطفتك الجميلة البادية في رسالتك الاخيرة نحوي ونحو رفيقة حياتي ، فانها تشع ما بين العبارات كما تتألق ثغور الورود في جنبات الحديقة . اجل يا اخي ان الرفيقة الحبيبة عادت من المستشفى لكنها لم تزل تحت معاينة ومعالجة الاطباء وواجب علينا ملازمتها والاعتناء بها وتقديم ما يؤول الى راحتها واطمئنانها ، وترى ذلك يأخذ كل وقتي تقريبا ، واني اقوم بذلك بفرح لان اولادنا واحفادنا بعيدون عنا ، مع انهم يقدمون الينا في آخر كل اسبوع ، وذلك يغل يدي عن مراسلة الاصدقاء الاحباء احيانا وانت منهم الى ان ترجع الامور الى مجاريها الطبيعية ان شاء الله ... » .

ثم تلاحقت الشهور ، وجدار من الصمت مرتفع بيني وبين وديع رشيد الخوري .

ذات يوم من ايام صيف ١٩٧٦ هاتفني صديق اديب ، منهيا الي فجيعة الخوري بشريكة حياته ...

وترنحت كلمات العزاء على القرطاس ، تنبس بها شفاه مختلجة ... وهل يملك الانسان في مثل هذه المواقف الحرجة الاليمة الا ان يأسف ويتأسى ، مشاركا مقاسما الآخرين ما يكابدونه ويذوقون طعمه .

وفي جوابه الهادىء كان وديع رشيد الخوري شجاعا رائعا اذ يقول : « ان فراق رفيقة العمر بعد زهاء نصف قرن من الرفقة والالفة الطيبة ترك فراغا مؤلما في القلب الكسير ووحشة جاثمة في جوانب البيت الذي كانت تنيره بابتساماتها العذبة وصفاء محبتها . وقد خفف ثقل المصاب الاليم ملازمة اولادنا واحفادنا لنـــا في اثناء مرض امهم وجدتهم ، فكان وجودهم حولها حافزا لها على احتمال الالم بشجاعة ما بعدها شجاعة . وهكذا كانت ارادة الله ، وما علينا الا التسليم لارادته » .

ويواصل : « اني اشكر لك عواطفك الاخوية وكلماتك المعزية المنبعثة من اعماق القلب طالبا الى الله العلي القدير ان يوشحك بثوب العافية الكاملة ويقرب اليك الشفاء التام ويبقيك وعائلتك الكريمة مثالا صادقا للاخوة والادب الرفيع واعاضنا الله بسلامتكم جميعا » .

هذا وقد ساءت حال وديع رشيد الخوري واضطرب كيانه ... بدا عليه انه لا يستطيع مقاومة اعاصير الحياة التي شرعت تهب عليه هبوبا قاصما ، يقتلع كل شيء فيه .

فأجريت له جراحة ... خرج منها معافى .

ثم تسنى له ان يكتب الي : « اكتب اليك وصحتي تحسنت كثيرا عما كانت عليه سابقا . واني لائذ بالصبر الجميل في هذا الخطب الجلل وسأتعزى بما نفحني بـــه الاصدقاء المحبون امثالك من رياحين عواطفهم ومشاعرهم الاخوية . فقصور المرء وضعفه عن ان يرد غوائل المصائب والمحن هو السر في وجوب العزاء » .

تلك كانت آخر رسالة من وديع رشيد الخوري .

لم يتح لنا ان نتراسل ونتواصل في ما بعد .. لانهماك كل منا بشواغله الآخذة بوجوده : عقلا وقلبا .. جسدا وروحا ..

في اواخر صيف ١٩٧٧ ، وفي عدد جديد من اعداد مجلة « قب الياس » البيروتية ، اقرأ على حين غرة ، نبأ وفاة وديع رشيد الخوري .

فتعروني رجفة تعقبها صحوة تأمل ..

هكذا هي الدنيا ..

بغداد — وحيد الدين بهاء الدين

وطـن وزهـرة

الدكتور احمد مطلوب

الجنة العذراء والحلم الجميل
والنهر يلثم سنبل الحقل الطروب
والشمس خجلى لا تلوح لعاشقين
وعرائس الوادي يطفن مع المساء
نورا تباركه السماء
بغداد تحضن برعمين
وزهرة كالفجر أيقظه الندى
فانساب مخضلا عطر
وانا هنا أرنو الى الافق البعيد
كالطفل يلتمس العزاء
ولا عزاء

*

طوفت في الآفاق أبحث عن صدى
يرتد في سمع الزمن
ونشدت قلبي في الشمال وفي الجنوب
فما وجدت سوى الالم

*

أأنا القتيل بلا دم ؟
أأنا الصريع بلا كفن ؟
أأظل تقذفني البلاد
كالسندباد ؟
وليس عندي غير ما حمل الفؤاد

بغداد حبك في دمي
فالى م احتمل الشجن ؟
مضت السنون وما يزال
هواك نورا في الدجن
ألهمت قافلة الزمان
فما تعثر أو وهن

قالت : اراك تهيم في حب الوطن
وتظل تذكر زهرة ، والزهر ريان عطر
فاجبتها وطني هواي وزهرتي ملء البصر
أواه لو يحنو العراق على الغريب
ويطل من خلف السحاب

اواه لو يدنو القمر
لأرى الحبيب
وأبث شوقا يستعر

سويفسي ــ انكلترة





محمد العدناني

عـثرات الادباء

بقلم محمد العدناني

* * *

فلان خجل

ويقولون : فلان مخجول من افعاله . والصواب : هو خجل (بفتح فكسر) من افعاله : الصحاح ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

وجاء في النهاية : (في الحديث « انه قال للنساء : انكن اذا شبعتن خجلتن » . أراد الكسل والتواني ، لان الخجل (بفتح فكسر) يسكت ويسكن ولا يتحرك) .

وانفرد محيط المحيط بقوله : هو خجلان ، فنقلها عنه اقرب الموارد وعثر مثله .

وفعله خجل يخجل خجلا (بفتح ففتح) . وقد قلت في بعض قادتنا :

أصبحت ان ذكرت يوما نقائصهم حمرا ، يطاطيء راسي منهم الخجل

ومن معاني الخجل (بفتح فكسر) : (١) المرح (بفتح فكسر) . عن شمر بن حمدويه ، الذي أنشد : « قد يهتدي لصوتي الحادي الخجل » . (٢) الثوب الخجل : الثوب الخلق (بفتح ففتح) : اللسان . (٣) ثوب خجل : طويل فضفاض (مجاز) عن الاساس . (٤) واد خجل : مخصب معشب .

خــــذلان

ويقولون : بئس خذلان (بضم فسكون) المـرء وطنه في الملمات . والصواب : ... خِذلان (بكسر فسكون) ... كما تقول المعاجم كلها . وفعله خذله (بفتح الذال) يخذله (بضمها) خذلا (بفتح فسكون) وخِذلانا (بكسر فسكون) : تخلى عن عونه ونصرته . وفي الحديث الشريف : « المؤمن اخو المؤمن لا يخذله » .

وجاء في معجم مقاييس اللغة : « الخاء والذال واللام اصل واحد يدل على ترك الشيء والقعود عنه ، فالخذلان (بكسر الخاء) : ترك المعونة » .

خربش الكتاب والعمل

ويخطئون من يقول : فلان خربش الكتاب ، اي : افسده ، ظانين ان الفعل (خربش) عامي ، وهو فصيح ، ذكره الليث بن سعد ، وزيد بن اخزم الطائي ، وابن ابي داود ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

وجاء في النهاية : (في الحديث « كان كتاب فـلان مخربشا (بفتح الباء) » اي مشوشا فاسدا . الخربشة والخرمشة : الافساد والتشويش) .

ويستشهدون بقول ابن ابي داود : كان كتاب سفيان مخربشا ، اي فاسدا .

وجاء في هامش « متن اللغة » : « وتقول العامة : خربشه اذا جرحه بأظافيره ، وهو مجاز مـن خربشة الكتاب . او اصلها : خرشه بمعنى خدشه ، زيدت فيها الباء . وعهدها بهذا المعنى عند العامة قديم ، فقد كانت معروفة في القرن الحادي عشر للهجرة » .

والمجاز يجيز لنا ان نقول : « خَربَش الطفل الكتاب بالقلم ، اي : رسم عليه خطوطا ملتوية افسدته » .

وممن اهمل ذكـر الفعل (خربش) : الصحاح ، والاساس ، والمختار ، والمصباح ، والمد .

اما (خُرابيش الخط) فيقول المتن انها ما افسد منه .

الدباسة لا الخرازة

ويطلقون على الآلة التي تشبك الاوراق بعضها ببعض بالسلك الدقيق اسم خرازة (بتضعيف الراء) . ولكن : جاء في الجزء الثامن عشر من مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، في باب حجرة المكتب ، من فصل الفاظ الحضارة، التي اقرها مؤتمر المجمع ، في جلسته العاشرة ، بتاريخ ١٧ آذار ١٩٦٢ ، في المادة رقم ١٥ ، ان المؤتمر اطلق على تلك الآلة اسم : الدبّاسة .

اما الخرازة فمعناها : (١) صانعة الخرز . (٢) التي تُوشّي الثوب وتزينه بالخرز . (٣) التي حرفتها خياطة الجلد (من خرز الجلد (بفتح الدال) ونحوه يخرزه (بكسر الراء وضمها) خرزا (بتسكين الراء) : خاطه) .

خرس وخرسان

ويخطئون من يجمع الأخرس على خرسان ، ويقولون ان الصواب هو : خُرْس (بضم فسكون) ، لان القياس هو ان نجمع أفْعل فَعْلاء على فُعْل (بضم فسكون) . ومؤنث الاخرس هو الخَرْساء .

ولكن : من الكلمات التي شذت هي كلمة اخرس ، اذ جمعت على : (أ) خُرْس : الاساس ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط . (ب) وخُرْسان (بضم فسكون) : الصحاح ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

الخــــروع

النبت الذي يقوم على ساق ، والذي له ورق كورق التين ، وبذور مُلس كبيرة الحجم ، ذات قشرة رقيقة صلبة مبرقشة، وهي غنية بزيت يسمونه الخَرْوع (بفتح الخاء) . والصواب بكسرها (الخِرْوع) ، كما قال الاصمعي ، والفاظ ابن السكيت (في باب صفات النساء) ، والتهذيب ، والصحاح، ومعجم مقاييس اللغة ، والاساس ، وتكملة اصلاح ما تغلط فيه العامة لابن الجواليقي ، والصاغاني ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، ومستدرك التاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، ومحمد علي النجار في محاضراته عن الاخطاء اللغوية الشائعة .

ويقول ابن الجواليقي : « ليس في كلام العرب فِعْوَل (بكسر فسكون ففتح) الا : خِرْوَع وعِتْوَد ، وهو اسم واد او موضع ، وقال ابن بري : هو اسم دويبة » .

الخرف او الهذيان لا التخريف

ويسمون ما يقوله من فسدت عقولهم من الكبر او المرض : تخريفا . والصواب هو الخَرَف (بفتح ففتح) او الهَذيان (بفتح ففتح) ، لان المعجمات ليس فيها خرف (بفتح فتضعيف) فلان من الكِبَر (بكسر ففتح) ، بل فيها : خَرِف (بكسر الراء) يَخْرَف (بفتحها) خَرَفا (بفتح ففتح) ، فهو : خَرِف (بفتح فكسر) ، وهي خَرِفة (بفتح فكسر) .

اما خَرَّف (بفتح فتضعيف) فلانا تخريفا فمعناه : نسبه الى الخَرَف (بفتح ففتح) كما جاء في القاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

ومعنى : خرّفت (بفتح فتضعيف) الارض : اصابها مطر الخريف .

الخَرْق (بفتح فسكون) و الخُرْق (بضم فسكون)

ويقولون : في هذا الثوب خرق (بضم فسكون) والصواب : فيه خَرْق (بفتح فسكون) ، اي ثَقْب (بفتح فسكون) ، كما جاء في الصحاح ، والاساس ، ومفردات الراغب الاصفهاني ، والنهاية ، والمغرب ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

ويجمع الخَرْق (بفتح فسكون) على خُروق (بضم الخاء) .

اما الخُرْق (بضم فسكون) فهو الحمق والجهل . جاء في النهاية : (وفي الحديث « الرفق يُمْن (بضم فسكون) ، والخُرْق شُؤْم » . وقد خَرِق (بفتح فكسر) يَخْرَق (بفتح الراء) خَرَقا (بفتح ففتح) فهو أخرق ، والاسم الخُرْق (بضم فسكون) .

وممن ذكر ايضا ان الخُرْق (بضم فسكون) هو الحمق والجهل : الجامع للكرماني ، والصحاح ، والاساس ، والمغرب ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

والخَرَق (بفتح ففتح) والخُرُق (بضم فضم) يحملان معنى الخُرْق (بضم فسكون) ايضا .

خرم الابرة ، سمها ، ثقبها ، عينها

ويخطىء الدسوقي في كتابه « تهذيب الالفاظ العامية » من يسمي عين الابرة خرما (بضم فسكون) ، ويقول ان الصواب هو : سُمّ (بتثليث السين وتضعيف الميم) الابرة ، او ثُقْبُها (بفتح فسكون) .

والحقيقة هي ان خرم الابرة يعني سمها ، او ثقبها ، او عينها اعتمادا على ما جاء في اللسان (اصل الخرم (بفتح فسكون) الثقب (بفتح فسكون)) ، والمصباح (خرم الشيء : ثقبه) ، والخرم (بضم فسكون) موضع الثقب (بفتح فسكون) ، ومستدرك التاج (خرم « بضم فسكون » الابرة : ثقبها) ، والمتن (نقل ما ذكره التاج) .

اما فعله فهو : خرم (بفتح الراء) يخرم (بكسر الراء) خرما (بفتح فسكون) .

الخيـــــزُران

هنالك نبات من الفصيلة النجيلية ، لين القضبان ، أملس العيدان ، يطلقون عليه اسم الخيزران (بفتح الزاي) ، والصواب : الخيزران (بضم الزاي) : لحن العوام لأبي بكر محمد الزبيدي ، والصحاح ، والاساس ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، ودوزي ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

واستشهد ابو بكر محمد الزبيدي بقول الفرزدق :

في كفه خيزران كفه عبق من كف أروع في عرنينه شمم

ونسب هذا البيت الى الحزين الكناني .

وقد ذكر التاج ، والمد ، ومحيط المحيط ان العامة تفتح زاي (الخيزران) .

والخيزران (بضم الزاي) اسم زوج الخليفة العباسي المهدي ، وأم ابنيه الهادي وهارون الرشيد ، وقد توفيت سنة ١٧٣ هـ .

ووردت كلمة الخيزران في بيت البشار بن برد :

اذا قامت لحاجتها تثنت كان عظامها من خيزران

وفي جنوب مدينة صيدا متنزه على شاطىء البحر الابيض المتوسط ، يطلقون عليه خطأ اسم : خيزران (بفتح الزاي) ، والصواب بضم الزاي طبعا .

ويجمع الخيزران على : خيازر .

الخاسر لا الخسران

ويقولون : خرج فلان من تجارته خسران ، والصواب : خرج خاسرا ، لان المعجمات كلها ليس فيها خسران (بفتح فسكون) . وفعله كما جاء في المتن : خسر التاجر يخسر خسرا (بفتح فسكون) ، وخسرانا (بضم فسكون) ، وخسارة (بفتح الخاء) ، وفي معجم الفاظ القرآن الكريم : خسارا (بفتح الخاء) .

وقد يأتي الخاسر بمعنى الضال والهالك ، وفعله كما جاء في المتن : خسر يخسر (باب ضرب) ، وخسر يخسر (باب علم) خسرا (بفتح فسكون) ، وخسرا (بفتح ففتح) ، وخسرا (بضم فسكون) ، وخسرا (بضم فضم) ، وخسرانا (بضم فسكون) ، وخسارة ، وخسارا (بفتح الخاء في المصدرين الاخيرين) .

وقد اخترت الفعلين ومصادرهما كما وردا في المتن ، لان هنالك اختلافا كبيرا ، وتشويشا في المعجمات الاخرى .

وقد ذكر الوسيط ان الخاسر هو الذي ضل وهلك ، اما الذي خسرت تجارته فقال انه خسر (بفتح فكسر) ، مع انه خاسر ايضا ، كما جاء في معجم الفاظ القرآن الكريم ، وكما قال الليث بن سعد ، والتهذيب ، والاساس ، واللسان ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد .

محمد العدناني
بيروت ــ شارع الجامعة العربية
بناية الاسكندراني رقم ٣

التيارات الفلسفية في الادب العباسي

بقلم روز غريب

معهد الدراسات النسائية في العالم العربي
كلية بيروت الجامعية

* * *

يستغني دارس التاريخ والادب ومن يضطلع بتدريسهما عن ثقافة فلسفية تسعفه على الادراك العميق لهاتين المادتين اللتين لا بد ان تتأثرا بفلسفة العصر الذي يدرسه . وقد اشار ارسطو الى العنصر الفلسفي في الشعر حين قال انه يتناول موضوعات كلية ، بخلاف التاريخ الذي يعالج الجزئيات ، على اعتبار ان التاريخ في عصره لم يفلسف الاحداث كما يفعل مؤرخو هذا العصر .

كان الشعر التمثيلي ابرز الانواع الشعرية عند اليونان وقد اخضعوه للفلسفة وجعلوه منبرا للحكمة والارشاد . اما الشعر الغنائي فاقتصر دوره على التعبير عن العاطفة المشبوبة . وفي عصرنا ، نجح الرومنطيقيون في تطويع الشعر الغنائي للفلسفة لانهم ركزوا شعرهم على فلسفة افلاطون وافلوطين وكلاهما ، ولا سيما الثاني ، ذو اتجاه صوفي . واستمدوا من فلسفات اخرى تقديس الطبيعة ، واعلنوا ايمانهم بمساواة البشر وتآخي الاديان .

ويقول السورياليون كذلك ان حركتهم في اساسها فلسفية صوفية وقد استمدوا بعض عناصرها من هرقليطس اليوناني . وعلى الجملة لا يستطيع احد ان ينكر خضوع ادب هذا العصر بجميع انواعه — من مسرح وقصة وشعر ونقد — لتيارات الفلسفة التي تتصارع فيها مبادىء صوفية رومنطيقية ومبادىء اخرى واقعية اشتراكية نيتشوية وجودية .

« فلسفة القبيلة » ، اي تلك المبادىء الخلقية التي فرضتها في عصرنا اكثر تعمدا وشيوعا . حتى العصر الجاهلي الذي لم يكن عصر علم وفلسفة ، نلمح في انتاجه الشعري اثر والنثر قمة نضجها ، ونبغ كبار الشعراء والمترسلين . الا الحياة القبلية على العرب حينذاك . تعظيم الكفاح والصبر والحرب والنجدة والكرم والثار والانفة وسائر الصفات التي عدت ضرورية للبقاء عند عرب البادية . من هذا النوع شعر عنترة وابن كلثوم والسموأل والحارث بن حلزة . ومن جهة اخرى وجد شعر يناقض في مبادئه فلسفة القبيلة ويدعو للخروج على قيودها . منه شعر طرفة الذي آمن صاحبه بفلسفة اللذة القائلة : « لنستمتع اليوم لاننا سنموت غدا » . وفي شعر زهير رغم روحه القبلية ، ثورة على مبدأ الحرب ودعوة الى كفاح هذه العادة المهلكة ونبذ العصبية القبلية ، مثيرة الحروب .

في العصر الاموي الذي كان امتدادا للعصر الجاهلي لم يحدث تطور كبير في تفكير العرب وادبهم ، بخلاف العصر العباسي ، عصر تفاعل الحضارات العالمية ، عصر الانفتاح الثقافي والانتاج الموسوعي الذي جعل منه عصر العرب الذهبي . في هذا العصر بلغت الكلاسيكية العربية في الشعر والنثر قمة نضجها ، ونبغ كبار الشعراء والمترسلين . الا ان العصر العباسي هو اولا عصر نضج النثر العربي وتطوره وتعدد فنونه . لان النثر لغة الحضارة وحاجة الامم المتحضرة اليه اشد من حاجتهم الى الشعر . فسيطر على دوائر الدولة ومراكز العلم والدين ، وكان من نتائج هذه السيطرة انكماش دائرة الشعر ابتداء من القرن الثالث الهجري . وحتى ابو تمام الذي عاش في القرن الثاني نعى الشعر في قصيدة مشهورة قال فيها :

الا ان نفس الشعر ماتت وان تكن   عداها حمام الموت فهي تنازع

وكان من نتائج طغيان النثر سيطرة العقلانية والتفكير المنطقي على ثقافة العصر . فالنثر لغة الروية والتبصر في حين ان الشعر لغة العاطفة والخيال والالهام ، ومنذ ان تم للعرب نقل فلسفة اليونان ومنطقهم الى العربية ، ظهر بوضوح تأثير اساليب المنطق في علومهم وادبهم . وساد الاتجاه العقلاني الذي يمكن ايجازه بالنقاط الآتية :

الايمان بقدرة العقل على ادراك كل شيء حتى الغيبيات ، وباستطاعته تمييز الخير من الشر والوصول الى الحقيقة .

تعظيم الحكمة او المعرفة العقلية .

انكار المعرفة الحدسية الالهامية .

انكار الاوهام والخرافات المنافية للعقل .

الاعتدال والاتزان في التفكير والسلوك .

الاتجاه الواقعي في الكتابة واساءة الظن في الخيال والعاطفة .

ربط الادب بالفائدة الاجتماعية والعظة الخلقية .

الاعتقاد بأن الكون كل منسجم ، من يخالف فيه القوانين الموضوعة ويعتدي على ميزة الانسجام يخطىء ويتعرض للهلاك .

طبق العرب مقاييس المنطق على علوم اللغة

وقواعدها كما هو معلوم . طبقوها على علوم الدين فاستخدموا المنطق في تفسير القرآن واخضعوا الحديث النبوي لمبادىء التعديل والتجريح المستنبطة من المنطق . طبقوها على العقائد والاصول الدينية واستنبطوا علم الكلام الذي يدافع اصحابه عن العقيدة بالبراهين العقلية . فكان المعتزلة دعاة الفلسفة العقلانية في الدين والاشعرية خصومهم الذين ناقشوا تعاليمهم بالاسلوب العقلاني وحاربوهم بسلاحهم .

لم يكن للفلسفة العقلانية تأثير كبير في كتابة التاريخ والسير . فقد ظلت الحقائق تختلط عندهم بالاساطير والمبالغات . لكنهم اعتمدوا الاسلوب الفيثاغوري اليوناني في تنسيق الحوادث وترتيبها على السنين . ولم يتصد لمناقشة المؤرخين وتبيان اضاليلهم بأسلوب المناطقة الا مؤرخ فيلسوف ظهر في عصر متأخر ، هو ابن خلدون صاحب المقدمة الشهيرة في فلسفة التاريخ ، الذي عاش في القرن الرابع عشر للميلاد ، الثامن للهجرة .

لكن الادب بجملته اصطبغ بالصبغة العقلانية والاساليب اليونانية ، منذ عهد عبد الحميد بن يحيى الذي جعل رسائله فصولا منسقة كفصول الكتاب واستقى من اليونان كثيرا من الآراء والحكم التي ضمنها رسائله . ومثله ابن المقفع في اتجاهه العقلاني الرصين واعتماده الاسلوب الفيثاغوري المتسلسل في « كليلة ودمنة » واخذه بمذهب الاعتدال اليوناني في نثره الجامع بين السلاسة والوضوح والاناقة الخالية من التسجيع والتنميق .

اما الجاحظ الذي قيل ان كتبه تعلم العقل اولا والادب ثانيا ، فكان متكلما معتزليا ، يحكم العقل في كتبه المنوعة الموضوعات والاغراض . في رسائله ومقدمات كتبه يلتزم اسلوب البرهان والدفاع بالحجة القوية الدامغة، مستشهدا بالحكم والامثال واقوال البلغاء وآراء الفلاسفة ، حتى يفحم قارئه ويرغمه على التسليم برايه . ومن تأثير ثقافته الكلامية ان يذكر محاسن الشيء ثم مساوئه ، حتى يحيط بجميع نواحي الموضوع. يعدد، مثلا، محاسن النثر وفضائله ثم يقارن بينها وبين محاسن الشعر ، ليرينا فضل الاول على الثاني ويثبت امتيازه . فالجاحظ امام الاسلوب المنطقي الممتاز بصحة التفكير وسهولة العبارة واعتدالها وسلامة في الذوق اساسها مراعاة مقتضى الحال ، وهي مبدأ أرسطي منطقي . اما في كتاب « الحيوان » فيعتمد في ابحاثه الاسلوب الفيثاغوري اي التقسيم والتفريغ ، ويناقش الاقوال التي سمعها او طالعها .

لم يسلم الشعر من تأثير المنطق والفلسفة حتى في العصر العباسي الاول . فقصيدة ابي نواس التي مطلعها « دع عنك لومي فان اللوم اغراء » ليست الا خطبة دفاعية تعتمد البرهان المقتبس من الدين لتحليل شرب الخمر . يحمل في مطلعها على اللائمين متعللا بالحكمة القائلة ان اللوم اغراء وان الداء يداوى بالداء . ثم يعدد محاسن الخمر وفضائلها في مجال دفاعه عنها وتزيينه لشربها . ومن خلال ذلك يصرح بشعوبيته حين يقارن بين اطلال ليلى واسماء ، اطلال العرب في الجاهلية ، والقصور التي تبنى للخمر في عصر الحضارة . فهذه القصيدة على رشاقة لفظها وسلاسة عبارتها والظرف والسخر الباديين فيها ، تتوسل بالمنطق لتزيين الاثم وتستوحي مفردات العلم باستعمال « اللطافة والكثافة والتولد والفلسفة » .

فاذا جئنا الى عصر ابي تمام ، اوائل القرن الثالث هـ. وجدنا في شعره مقدارا اكبر من تأثير العلم والفلسفة او الحكمة اليونانية . فقصيدته في فتح عمورية تستهل بسلسلة من البراهين التي يكذب بها المنجمين . مطلعها حكمة اجراها مثلا . وتفنيده لمزاعم اهل التنجيم يدل على معرفته لهذا العلم ومصطلحاته :

وصيروا الانجم العليا مرتبة ... ما كان منقلبا او غير منقلب
يقضون بالامر عنها وهي غافلة ... ما دار في فلك منها وفي قطب

هنا رد على الذين زعموا ان للكواكب عقولا تشارك في تدبير امور البشر ، كما جاء في فلسفة ارسطو وتلميذيه الفارابي وابن سينا .

من جهة اخرى ، نلاحظ في القصيدة تسلسلا وانتقالا منطقيا . من تكذيب المنجمين الى وصف المعركة حيث يقول :

لو بينت قط امرا قبل موقعه ... لم يخف ما حل بالاوثان والصلب
فتح الفتوح تعالى ان يحيط به ... نظم من الشعر او نثر من الخطب

كذلك تزدحم القصيدة بضروب من المقارنة والجمع بين الاضداد والتفاصيل البرهانية والتوسيع الوصفي والشواهد التاريخية ، مما يدل على تأثرها بأساليب الناثرين الذين اساغوا التفصيل والتوسيع بالمقارنة والشواهد المختلفة . فالشعر الجاهلي « لمح وايجاز » كما يقول البحتري في ابيات مشهورة يعارض فيها ربط الشعر بالمنطق حيث يقول :

كلفتمونا حدود منطقكم ... في الشعر يغني عن صدقه كذبه
ولم يكن ذو القروح يلهج ... بالمنطق ما اصله وما سببه
والشعر لمح تكفي اشارته ... وليس بالهذر طولت خطبه

في الابيات المارة اشارة الى الطريقة المنطقية التي اصابت الشعر برشاشها . اذ فرضت التعليل والتحليل والى ذلك يشير البحتري بقوله : « ما اصله وما سببه » . كما فرضت الاطالة والتوسيع على طريقة المترسلين ، لذلك يقول : « وليس بالهذر طولت خطبه » .

اما ابن الرومي ، معاصر البحتري وخصمه ، فقصائده ، عدا امتيازها بروعة التصوير وعنف العاطفة ، تمتاز كذلك بصفات نثرية منطقية منها طول النفس وتقصي المعنى « حتى لا يبقى فيه بقية » . ومنها التفصيل بعد التعميم واتباع البيت الواحد ببيت يفسره ويعزز معناه .

ومنها ايضا التسلسل والوحدة وحسن الانتقال الذي وجدناه عند ابي تمام ، وعدم الاسراف البديعي وعدم الاحتفال بالموسيقى اللفظية . بينما الاسراف البديعي وقوة الايقاع صفتان يتمسك بهما ابو تمام . فعند كلا الشاعرين تجتمع وتندمج مزايا شعرية ومزايا نثرية معا ، ويتعانق الفكر والخيال ، المنطق والعاطفة ، ولعل هذا المزج هو سر تفوقهما .

يبلغ الاتجاه العقلاني اوجه في شعر المتنبي وتلميذه المعري . فالاول مهد للثاني بشعره الحكمي الذائع الصيت ، وباعتماده فلسفة القوة والعقل والطموح حيث يقول :

- الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول وهي المحل الثاني
- واذا لم يكن من الموت بد فمن العار ان تموت جبانا

مهد المتنبي للمعري باعراضه عن شعر الغزل والمجون وصرفه الشعر الى موضوعات جدية كالحكمة ومدح العظماء ونقد المجتمع وهجو الحساد والجبناء وادعياء الشعر :

أفي كل يوم تحت ضبني شويعر ضعيف يقاويني ، قصير يطاول ؟

والمعري كما نعلم شاعر الفلسفة وفيلسوف الشعراء . نظم معظم شعره في فلسفة الدين والتساؤل الميتافيزيقي ، او في بحث الغيبيات من موت وبعث ووجود وعدم وغاية ومصير . وقد بالغ في نقد فساد المجتمع وحمل على رياء بعض المتدينين وغرور بعض العلماء واضاليل الشعراء وخرافات العامة وجهل المرأة وانحطاطها .

في ادب المعري من شعر ونثر يبرز الاسلوب الساخر الذي شاع في عصره ويعد ثمرة من ثمار العقلانية لانه هجو فني بارع لعيوب العصر وحماقاته ولاعقلانيته . أدواته الاسلوب اللامباشر في النثر ، من قصة ونادرة ومقامة . وفي الشعر التعريض والتلميح والمعارضة بين ضدين والاغراب ، وفي بعض الاحيان نقل العبارة المحكية واستعمال السجع المعبر عن سخرية .

انتج هذا العصر الادباء الساخرين ، منهم ابن المقفع والجاحظ والهمذاني والمعري .

ابن المقفع في « رسالة الصحابة » يكتب معرضا بظلم الحكام . وفي « كليلة ودمنة » يستعرض عيوب المجتمع بأسلوب طريف ، بارع السخرية ، اذ يجعل العظة للانسان العاقل على لسان الحيوان غير العاقل . بهذه الطريقة يجمع بين قطبي الهجاء الاجتماعي : الطرافة والارشاد .

الجاحظ في نوادره واخباره الضاحكة يعرض حماقات البخلاء . ويصور لنا الجبناء الذين يدعون البطولة (ابو الاعز) والجهلاء الذين يدعون العلم (رسالة التربيع والتدوير) ويسرد حكايات المعلمين والمغفلين والموسوسين واهل الشذوذ . ميزة الجاحظ في سخره انه يناقش الخطأ بأسلوب فكه . ينقل احيانا عبارة الشعب فيبدو اكثر واقعية .

الهمداني في رسائله ومقاماته يبلغ قمة الافتنان بأسلوبه المسجع الذي يتخذه اداة سخر من المكدين المحتالين على العيش ببراعتهم اللسانية ومحفوظاتهم اللغوية . يرينا كيف اصبح العلم والشعر آلة ارتزاق وابتزاز عند ادباء العصر ، كما هو حال الصحافيين ومرتزقة الادب في عصرنا .

اما ابو العلاء المعري فهجاؤه الاجتماعي صريح في اللزوميات ، غير مباشر في « رسالة الغفران » حيث يعرض في رحلته الخيالية ضلالات اهل عصره وما نسجوه من اوهام حول الجنة والنار والشعر والشعراء .

في رأي غرونباوم(1) المستشرق الالماني ان سيادة المذهب العقلاني في هذا العصر كانت احد العوامل التي حدت من تطور الادب لانها ، حين قيدته بالمنطق ، حالت بينه وبين انطلاق الخيال وجموح العاطفة . وكل من يطلع على كتب النقد الادبي في ذاك الحين تستوقفه اخبار الجدل الذي قام بين النقاد والشعراء حول التجديد اللغوي والبديعي الذي ناقشه وعارضه المتزمتون من ارباب النقد لانه خالف العرف والمنطق(2) . من ذلك انهم استنكروا قول ابي نواس :

فظنني كلا ظن وعلمي كلا علم

لانه يخالف المنطق . وناقشوا قول ابي تمام :

خطوب يكاد الدهر منهن يصرع

بقولهم : « جن ابو تمام . أيصرع الدهر ؟ » كما انكروا قوله :

فضربت الشتاء في أخدعيه

بقولهم : « وهل للدهر أخادع ؟ » واستهجنوا قوله : « لا تسقني ماء الملام » لان الماء يوحي العذوبة ولا يجوز الجمع بينه وبين المرارة .

ولكن لا بد ان نذكر ، بعد هذا العرض السريع ، ان التيار العقلاني رغم كونه الصبغة المميزة للعصر العباسي ، لم ينفرد بالسيادة بل حاذاه تيار آخر مناهض للعقلانية ، اصحابه فلاسفة وشعراء ينتمون الى اصول ومذاهب مختلفة . من الفئة الاولى ابن سينا وابن طفيل اللذان اعترفا بأن للوصول الى الحقيقة طريقين العقلاني والالهامي الصوفي . ومنهم الاشعرية خصوم المعتزلة ،

---

(1) - غوستاف فون غرونباوم ، « دراسات في الادب العربي » ، ترجمة احسان عباس ، انيس فريحه ، محمد نجم وكمال اليازجي ، دار مكتبة الحياة ، ١٩٥٩ .

(2) - راجع حول هذا الموضوع كتاب « الموشح » للمرزباني .

من غير استئذان

اني لأكره ان تستأذني أبدا — اذا دخلت ، فلا تستأذني أبدا
الشمس تشرق في حسن وفي صيد — من غير اذن ، فتحيي الروح والجسدا
والبدر يطلع مختالا بسيرته — متى اذنا له يشفي بنا الرمدا
والزهر يعبق في سهل وفي جبل — فيملأ الكون طيبا فائحا وندى
متى سمعت نسيم الفجر منتشرا — ينساب في أرج مستأذنا احدا
لم يأت امس ، ولم يذهب كعادته — ولن نلاقي مأذونا يجيء غدا
وانت امسي ويومي في الهوى وغدي — فاقبلي مثل عمر لم يضع بددا
العبقرية كانت ، فالجمال بدا — لولاه كان وجود العالمين سدى

يا من لقيت بها الدنيا مجملة — والحظ مبتسما ، والدهر متئدا
صفا الزمان بها من بعد ما اعتكرت — ساعاته فنسيت الهم والنكدا
وراق ماء شربناه معا فحلا — وكاد يقتلنا بين السراب صدى
دفنت في جيدها احزان مغترب — بين الجوانح واه نومه شردا
ولم اجد من زمان السوء مختبأ — سوى خمائلها ايكا حمى غردا
اذا رزقت حبيبا غير منصرف — الى سواك رزقت النعمة الابدا
تحس بالعطف ما يهديك في سفر — تطول ايامه تيها بغير هدى
تعطيك ما ظل مفقودا ، تؤمله — فتستريح كأن الشيء ما فقدا
ماذا تريد من الدنيا وقد عبست — غير الخليل الذي تسلو به الكمدا

عصيفرة — تعز — ص.ب ٤٨٠٦
علي محمد لقمان

الذين انكروا قدرة العقل على ادراك الغيبيات . ووافقهم الغزالي صاحب « تهافت الفلاسفة » الذي اقر في مذهبه عنصر الالهام الصوفي . وعارضه ابن رشد في « تهافت التهافت » حيث انكر آراء الصوفية والتزم عقلانية أرسطو .

اما المتصوفون فكان منهم شعراء ، فرس وعرب . نظير الحلاج وجلال الدين الرومي والجنيد والنفري وابن عربي وابن الفارض . شرحوا في نتاجهم معاني التصوف وعبروا عن رؤاهم واشواقهم بالشطح وغريب القول . وظهر في شعرهم من اعراض الذهول والحمى النفسية ما جعل الباحث الانكليزي نيكولسن يشبههم بأصحاب الكتابة الاوتوماتيكية او السوريالية في الشعر الحديث .

في وسعنا كذلك ان نلمح انحرافا عن العقلانية في الغلو البديعي الذي انغمس فيه الشعراء والناثرون ابتداء من القرن الرابع الهجري ، والاسترسال في الزخرفة والتصنع الى درجة الغموض والاغراب الشديد . انحراف لم يسلم منه اكثرهم عقلانية نظير ابي العلاء المعري في لزومياته وفي رسائله المسجعة .

ان الصراع بين التيارين العقلاني واللاعقلاني يستمر في عصرنا الذي تتصادم فيه تيارات عقلانية كالوجودية والواقعية وتيارات اخرى تقدم الخيال والعاطفة على العقل او تتنكر له نظير الفلسفة الرومنطيقية وما اشتق منها من مذاهب الرمز والسوريالية وأدب اللامعقول .

التياران منذ القديم يتنازعان . يلتقيان وينفصلان . في احتكاكهما وتفاعلهما كسب وغنى . الا ان تناحرهما قد يؤدي احيانا الى اشعال الفتن وايقاد الحروب التي تجر الكوارث والويلات .

(من مجموعة محاضرات في الادب العباسي) **روز غريب**

السقوط من الدور العاشر

بقلم جمعه محمد جمعه

قصة

مستحيل !! هل انا في كامل قواي العقلية ؟ الست مجنونا !! كانت صرختي في ابراهيم ساعي مكتبي صرخة مجنون فعلا وانا آمره :

— اخرج سيارتي من الكاراج ..

لم اره حينما تركني .. لم ار احدا .. لم ار شيئا ..

— السيارة جاهزة يا سعادة البيه ..

— والمصعد ؟

— جاهز يا افندم ..

وقف ابراهيم يشيعني بنظراته .. احساس خاص اكنه له بالحب منذ عينا معا في يوم واحد انا كباحث قانوني وهو كساع للادارة القانونية التي التحقت للعمل بها .. احببته لخلقه الكريم ، وطاعته التي تجبر الانسان على احترامه .. تركته ورائي رافعا يده بالتحية .. بعد ترقيتي اخترته ساعيا لمكتبي .. خشيت ان تقفز الدموع من عينيه لو اعلنته بالخبر .. لا بأس من تجاهله .. سيعرف بعد قليل .. ارتبكت وارتعبت مفاصلي .. كدت اتهاوى .. رفع عامل المصعد يده بالتحية .. اخذ المصعد في الهبوط .. تمنيت في تلك اللحظة ان يسقط بي دفعة واحدة ولتكن النهاية .. لكن ما ذنب عامل المصعد .. اي فاجعة المت بي !! واي كارثة تحيق بحياتي !

— وصلنا يا سعادة البيه ..

غادرت المصعد متعجلا الهرب .. اعرف انه خلال ثوان قليلة سينتقل الخبر من ادارة الى ادارة ، ومن موظف الى موظف .. ابتلعت خوفي بعد ان اسقطني المصعد قبل ان يسقط الخبر الى حارس الباب .. يقينا لم يصله بعد فقد رفع يده بالتحية .. اومأت براسي وانا افتش بعيني عن مكان سيارتي ..

جلست خلف عجلة القيادة .. انطلقت السيارة دون ان القي امرا .. كل شيء امام عيني تذروه الرياح .. اوقفتني اشارة المرور .. ارتفع ورائي صوت كلاكسات السيارات .. انطلقت مرة اخرى .. ما بين غمضة عين وانتباهتها انهار كل شيء .. نظرت الى الطريق الخالي امامي وحدقت طويلا طويلا ..

كنت موظفا صغيرا في احدى الوزارات قانعا بقبر شهادتي الجامعية التي حصلت عليها بعد سنوات عجاف تكبدت فيها اسرتي آلام العوز ومهانة الحاجة .. تفتحت الآمال امامي حينما اتيح لي فرصة للعمل في هذه الشركة ، وكانت في بدء مزاولة نشاطها .. كان سلم الترقي امامي خاليا .. اتاحت لي الوظيفة سعة في الرزق ، وبحبوحة في العيش .. ابتسم لي الحظ وتزوجت باحدى بنات الاسر الثرية التي كنت اسمع عنها في الحكايات .. شعرت انني بهذا الزواج انتقل الى مصاف السادة وابناء الاكرمين .. وجدت نفسي برجوازيا صغيرا يحبو نحو آفاق واسعة .. رقيت الى نائب مدير ومنها الى مدير ثم مدير قطاع ، وقفزت الى مدير عام .. اعددت العدة لتولي منصب نائب رئيس مجلس الادارة .. امتلأت حياتي بالآمال وصار المستقبل في يدي اشبه بحلقة المفاتيح ..

الاصل في وجودي ابي وأمي وانا الفرع الجاحد الذي تنكر لهما .. اجتذبتني انوار الثراء فلم اعد ارى تحت قدمي حيث يرقد اصلي ، يئن ويتألم .. نسيت تماما اسرتي .. كانت عطاياي لهما تشعرهما بالهوان فكفا عن زيارتي ، وارتاحت زوجتي سعاد لتلك القطيعة .. استأثرت بي وحدها .. ثم استأثرت بي آمالي .. ثم استأثر بي طفلي عاصم ، وأماني .. كنت مرشحا لمنصب نائب رئيس مجلس الادارة .. كان ممكنا الا يحدث الصدام بيني وبين النائب الحالي .. لكنه حدث .. كان هو البادىء .. وجه الي اللوم واحتد بيننا النقاش .. كدت اتصدى له ولكنه لم يترك لي الفرصة واخذ ينهشني .. لم اتمالك زمام كرامتي .. كلت له الصاع صاعين فنظر الي نظرة لا انساها ما حييت وقال في تشف :

— من تظن نفسك ؟ .. ابن طباخ حقير ..

صرخت عيناي غضبا وثورة :

— لا يهمني ابن من اكون ؟ .. بكفاءتي ومجهودي .. بجدارتي اثبت وجودي ..

طردني من مكتبه ، استغل نفوذه العائلي و ...

اوقفت السيارة .. لم اعد ارى .. الطريق يبدو كخلية نحل ، بددت الانوار نور عيني .. اكلت الافكار راسي اكل الجراد للاخضر واليابس .. السماء تطبق على الارض ، والارض تغور وتفور نحو اعماق الجحيم ..

صحيح ابن من انا ؟ .. اي صدفة ساقتني لان انخرط في صفوف تلك الطبقة التي عرفتها وانكرت معرفتها

بسي .. كيف عاش الفرع وحده ، وكيف امكن له ان يعيش بعيدا عن جذوره الراسخة في الارض ؟ .. مسكين انا !! ابراهيم ساعي مكتبي اكتشفت انه برجوازي صغير فشل في الحصول على الشهادة الجامعية . فتشت في الشركة كلها ووجدت انهم جميعا اولاد ناس وانا وقلة امثالي اولاد ...

السماء تمطر ثلجا يتحول الى فتات بمجرد اصطدامه بالارض .. الثلج تذيبه الشمس الساطعة وسط السماء .. اي عجب هذا !! الحياة ملأى بالاعاجيب .. الطبيعة ايضا .. السماء تمطر والشمس ساطعة .. دوت في اذني كلمات النائب « ابن طباخ حقير » .. انهار كل شيء لوجود هذه الكلمة في شهادة ميلادي .. بريء انا من مبادئهم .. كلهم يقول انا .. ثم انا .. ثم انا .. وتتحكم في كل منهم الأنا حتى صار كل منهم يتوهم انه عظيم !

غادرت السيارة .. درت حولها .. لم اعد جديرا بها .. ابن الطباخ لا يركب الا ساقيه .. تصلبت عروقي وانا اتذكر زوجتي .. لقد تركتها تزاول عملها بالشركة .. ينبغي ان اعود فلا شك انها علمت بالفاجعة .. لا شك انها ...

اصابتني صحوة حقيقية .. افقت لاعرف ان اليوم انقضى ، وان الشركة انهت اعمالها اليومية منذ امد بعيد .. لي إكثر من يوم .. بل الكثير من الاعوام وانا اسير على غير هدى بسيارتي .. حقب وازمان مرت علي وانا في حالة من الثمالة .. شعرت بالشوق الجارف لصدر زوجتي ادفن فيه تلك الصحوة التي اوشكت ان تقضي علي .. شوق آخر عنيف لأنظر طفلي وابكي ..

عدت الى السيارة سريعا .. دارت سريعا عجلاتها الى البيت .. اقلني المصعد الى الدور العاشر .. فتحت باب الشقة بمفتاحي الخاص . ارتفع الصدى يردد : « الصالة خاوية الا من الجدران » .. هرولت الى الحجرات .. كل شيء يطرقع حولي .. خطواتي وانفاسي .. شهقاتي وصرخاتي .. بكائي .. وسط كل همومي واحزاني اكتشفت واقعا نسيته .. هرولت افكاري كلها الى شقة ابي وامي ملجئي وملاذي في محنتي .. اكتشفت حقيقة انني ابن طباخ ، واي لافتة اخرى زيف وخداع .. وقفت في الشرفة اودع



جمعه محمد جمعه

كل شيء .. السماء والارض الاشجار والاطيار .. افلتت حلقة مفاتيحي وسقطت .. لم استطع متابعتها .. تراجعت الى الوراء .. تراجعت ..

هبطت الدرجات قفزا .. خرجت الى الشارع .. رايت جمعا من الناس ولغطا كثيرا يدور بينهم .. اندسست لاقف على الامر .. رايت حلقة مفاتيحي غارقة في بحيرة من الدم بجوار رأس لجسد تغطيه صفحات من جريدة الصباح .. لا يسعني الا ان افر .. مجرم انا ؟ .. قاتل أنا ؟ .. اجرمت في كل شيء .. لا شك ان الله استجاب لدعوات امي او ابي .. جريمة عقوق الوالدين .. لقد رحلت زوجتي وطفلي وسيحل والدها محلي أبا لهما .. يشب طفلي بلا أب .. حينما يأخذهما الشوق لي تصحبهما امهما لزيارة قبر تزعم انه قبري .. معها حق .. كيف ترضى بي زوجا بلا لافتة على باب شقتنا عليها اسمي ولقبي .. كيف يقبل ابني عاصم الذهاب الى المدرسة بغير السيارة ؟ هل يقبلني اصدقائي ومعارفي ولا يطردونني من زمرتهم لتخلي الالقاب عني ؟ .. القتيل من يكون ؟ .. ساقاي تترنحان .. استند الى جدار .. جريمتي ليس فيها سبق اصرار وتعمد .. سأنال البراءة في نهاية المطاف .. حقا سأنال البراءة .

خطواتي المتعبة تقودني الى بيت اسرتي .. هناك اجد الحب الابدي . هناك اجد الحنان يخفف عني ويمسح عني دموعي .. الامل ينفض التعب عن خطواتي .. باب البيت يفتح ذراعيه لاستقبالي .. اسرتي الكبيرة تنتظرني .. انهار كل ما تخيلته من اخيلة .. عصام يهرول الي صائحا : بابا .. اماني تهتز على صدر سعاد . امي تتنهد في ارتياح .. ابي يجفف دموعا انزلقت على تجاعيد وجهه .. الحب يحوطني بكل القلوب .. تهاويت واذرع كثيرة تساندني .. كلمة واحدة من سعاد اعادتني الى رشدي :

— بحبي سنبدأ من جديد .. بحبنا جميعا ستبدأ من جديد ..

تطلعت .. بحلقت .. بكيت .. تمتمت « ما ذنب القتيل ؟ » .

القاهرة　　　　جمعه محمد جمعه

احمد مخيمر

١٩١٣ — ١٩٧٨

(من لزوم ما لا يلزم)*

*

شجر .. ((بمينا القمح))(١) عال مثمر ... في ظله أمسى ينام .. مخيمر
لكن أحلاما تطوف برأسه ... يزهو بها ورد الربيع الاحمر
أبدا يغاديه صباح مشمس ... بعبير خاطرة ، وليل مقمر
في جانب الوادي تطاول صمته ... لو تفصح النسمات عما يضمر
ولكم تغرد حوله شبابة ... يشدو بها في الحقل راع أسمر
يلقي نشيد الحزن في جنح الدجى ... حتى ليشرق بالدموع السمر

يا شاعرا .. أدى رسالة فنه ... علوية .. وكذا الصناع يشمر
وكأنك المثال .. يبدع آية ... أو نافخ في الغاب .. راح يزمر
أخرجت ((بوذا))(٢) من معاقل سجنه ... فتكشفت ظلم .. كبحر يغمر
ولكم لقيت من الحياة مشقة ... فصبرت .. لا تشكو ، ولا تتذمر
وتذود عن حق ، وتدفع باطلا ... متنمرا .. يخشاك من يتنمر
لا تعرف الاقذاع فيما قلته ... كالشيخ اذ ينهى الشباب .. ويأمر

أين القصائد بعد شوقي سابقا ... وكأنه صدر الملاحم .. ((هومر))(٣)
وصمود حافظ للعدو مجاهدا ... بالشعر ، حتى يخرج المستعمر
وصلابة العقاد .. يرفض دعوة ... جاءت تحطم مجدنا ، وتدمر
وخطى عزيز(٤) تحتمي الفصحى بها ... والحق يدفن بالحياة ، ويطمر
لولا هدى الايمان ملء قلوبهم ... ما كان ديوان .. بشعر ، يعمر

ألخي مخيمر .. والحياة قصيرة ... مهما تسلط أهلها ، وتآمروا
في لجنة الشعر(٥) انتهيت لحلبة ... فيها السوابق ، والجياد الضمر
وذكرتني لما شكوت .. ولم اكن ... الا عليلا .. باللظى .. اتجمر
فانزل بدار الخلد .. أكرم روضة ... تبقى خمائلها ، وتفنى ((دمر))(٦)
فستخلد الاشعار .. مهما حوربت ... وسيذهب الشعراء .. مهما عمروا*

---

(١) — منيا القمح ، من اعمال محافظة الشرقية . وهي بلد الفقيد . (٢) — اشارة الى ((ملحمة بوذا)) اشهر اعمال الشاعر مخيمر . (٣) — هوميروس ، اقدم شعراء اليونان ، وصاحب الالياذة . (٤) — الشاعر عزيز اباظه ، وبلدته منيا القمح بمحافظة الشرقية ايضا . (٥) — لجنة الشعر ، بالمجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالقاهرة . وقد ضم الفقيد لعضويتها في العام الاخير من حياته . (٦) — دمر — حدائق معروفة بظاهر دمشق .

* كان الشاعر احمد مخيمر يكتب كثيرا من شعره على طريقة اللزوميات لابي العلاء المعري ، وله في ذلك ديوان مطبوع . وقد كتبت هذه المرثية بنفس الطريقة تنويها بذلك .

مصر الجديدة ... عامر محمد بحيري

المتنبي في شعره

بقلم حسن نجيب عيتاني

* * *

كان نابوليون يشعر بعبقريته ويحس بقوته وعظمته ويرى نفسه انه آية الخلق وخير من « انجبته امنا حواء » ولشدة اعجابه بنفسه لم يستطع ان يكتم سروره من ذلك فكان يبدي من آن الى آخر كلما كان يحسب ان الحاجة تدعو الى ذلك لقواده ورجال بلاطه انه اعظم قائد انجبه العالم الغربي وانه سيمر على اوروبا احقاب وقرون حتى تخلف قائدا مثله . وقد فعل المتنبي مثل ما فعل نابوليون ، والشبه عظيم بينهما لان النبوغ يؤلف بين ارواح العبقريين وان اختلفت بينهم النزعة والسعي وراء الحياة . فالمتنبي لم يقتصر على الانشاد في كثير من قصائده بسمو عبقريته ، ولكنه جاوز هذا الانشاد الى شيء من العجب والفخر والاعتداد بالنفس واحتقار الزمن و « اهليه » على قوله ، فثقلت وطأته على الناس وكثر الناقمون عليه والمبغضون له .

وما الدهر الا من رواة قصائدي   اذا قلت شعرا اصبح الدهر منشدا
انا الذي نظر الاعمى الى ادبي   واسمعت كلماتي من بـه صمم

وكذلك فعل ابسن الروائي السكندنافي الشهير منذ نصف قرن فكان يعلن بجراة لا مثيل لها انه يتقدم اهل عصره بعشر سنوات ولعل في التاريخ كثيرا من النوابغ كانوا يدعون مثل ذلك .

هذه الجراة في الفخر ومدح النفس قبل الممدوح ، لا نرى في الشعر الغربي من مثيل لها في هذه الوفرة . فقوة اخلاق المتنبي وبروز شخصيته وكثرة تجاربه وفخره وتزاحم الامراء على الحصول على مدحه وكثرة حساده من العوامل التي اكسبته شهرة واسعة واشاعت ذكره في الآفاق وانالته من المكانة في ادب العرب ما لم ينله شاعر سواه . فسار شعره سير البرق :

وشرق حتى ليس للشرق مشرق   وغرب حتى ليس للغرب مغرب
اذا قلته لم يمتنع من وصوله   جـدار معلى او خبـاء مطنب

« فملأ ابو الطيب الدنيا وشغل الناس » ، وهذه الجملة القصيرة هي خير ما توصف لتأثير المتنبي وشعره على اهل زمانـه .

وعلاوة على ذلك فقد كانت حياة المتنبي تغلي غليان الماء بالحوادث والمغامرات وتفيض بالقلق والاضطراب ، وكأن صاحبها لم يذق لذة الطمأنينة والهدوء والسكينة في ساعاته كما يذوقها شبابنا المثقف في هذا العصر الذين يعيشون عيشة هادئة ناعمة لينة ، وهذا اقصى مطمحهم في هذه البسيطة ، يؤثرون ذلك على ان يخوضوا اعمالا قد تعرضهم لاذى ولو قليل .

كانت اعصاب المتنبي هائجة مائجة تنتفض سريعا لاقل شيء يشتم منه انه اهانة او تحقير لنفسه الكبيرة التي يأبى عليها الا التكريم والتبجيل

وما منزل اللذات عندي بمنزل   اذا لـم ابجل عنـده واكـرم

وماذا تريدون ان اعمل وهذا طبع في ؟

سجية نفس مـا تـزال مليحة   من الضيم مرميا بها كل مخرم

وبديهي ان الذي يبالغ من تعظيم نفسه وحمل الناس على تعظيمها ولا يرضى منهم التقصير في ذلك ويتهم في ادعائه النبوءة لا بد ان يكون ارتفع عن سفاسف هذه الحياة ولا غرو ان يكون قد ترك اللهو واللعب والسخرية لاربابها وطمح الى شيء ابعد مـن ذلك واشرأبت نفسه الـى « ابتغاء شيء جل ان يسمى » .

وهذا ما حدث له فكانت اخلاقه تنزع الى العلو وتميل الى المجد ولعله كان يتطلع الى الملك والسؤدد ولذلك كان يستعظم نفسه على الشعر او على التكسب بالمدائح وكان يرى انه اجل واخطر من ان يمدح كافور ويرى نفسه انه خلق للامارة والقيادة .

وقـد كان شجاعا مقداما تجول فيه روح المغامرة وكانت نفسه ابدا شابة قوية على الايام :

وفي الجسم نفس لا تشيب بشيبة   ولو ان ما في الوجه منه حراب
يغير في الدهر ما شاء غيرها   وابلغ اقصى العمر وهي كعاب

وفي حبه للرحلات يقول :

الفت ترحلي وجعلت ارضي   قتـودي والغريـزي الجـلالا
فمـا حاولت في ارض مقامـا   ولا ازمعـت عـن ارض زوالا
علـى قلـق كان الريح تحتي   اوجههـا جنوبـا او شمـالا

فكان يأنف من المكوث ويصبو الى التجول والرحيل من بلد الى آخر ، يسافر وحيدا في الليل ويقطع الفلوات الواسعة والصحاري الشاسعة لا انيس لـه غير جمله او فرسه و « الصارم » بجانبه الذي يعده المفتاح لطلب المعالي .

ومـن طلب الفتح الجليل فانما   مفاتيحه البيض الخفاف الصوارم

وقد كان فارسا صنديدا شهد الحروب مع سيف الدولة وخاض في بعض المعارك ، وكان يحب الرجولية الحقـة والفحولة ويأنف من التأنث والتخنث وان شعره انما هو شعر الرجل القوي على متاعب الحياة الذي يفيض رجولية .

وما هذه الرجولية الا مرآة روحه فهي تظهر في كل اشعاره فالعز والمجد والعلياء وكرم النفس الفاظ جرت

على لسان ابي الطيب المتنبي في كل اشعاره :

فلا عبرت بي ساعة لا تعزني ولا صحبتني مهجة تقبل الظلما

وشعره كله مفعم بالتعبير عن شعوره بالعظمة ذلك الشعور الذي استحوذ على مجامع قلبه فكل قصائده تفخيم لشعائر المجـد .

وفــؤادي مــن المـلـوك وان كان لساني يرى من الشعراء

وهذا البيت غاية في الفخر والاعتداد بالنفس .

كان المتنبي كلفا بالحياة مغرما بها ، وهـو يشابه الشعراء الافرنسيين الحديثين الذين لا يألون جهدا في التغني بمناقب هذه الحياة ومباهجها يبثونها لواعج غرامهم داعين الناس ان يرتشفوا من كؤوس اللذة حتى الثمالة على ان اللذة التي يراها المتنبي هي غير اللذة التي يدعو اليها الشعراء الافرنسيون . ومع رغبة المتنبي في الحياة وتمسكه بها فاننا لا نجد في شعره اثرا لضياء الحياة وبشاشتها فكأن الرجل قد حرم حظه من لذتها .

ولانه حرم اللذة فقد كانت حياته عليها مسحة من الشؤم فهو متشائم ولكنه كان ايضا متفائلا وهذا موطن تناقضه في اخلاقه ، وانه لا يرى بؤس الدنيا وشقاءها فحيما في جانبه اذ يسعى الى لذتها من جانب آخر وانه يحتقر طول الحياة وقصرها اذ يستنفد عمره من الوصول الى شيء في ظواهر العظمة من هذه الحياة . حقا ان حياة ابي الطيب كانت قلقة ما اشد اضطرابها . يجول من بلد الى آخر ويجتاز الفيافي ويتحمل في سبيل ذلك المشقات والاهوال ما الله به عليم ويغترب عن الاهل والوطن مجدا وراء هدف وضعه نصب عينيه ساعيا اليه بكل ما اوتي من قوة لا يتعب ولا يكل ويصبر على حوادث الدهر وصروف الليالي فيخفق في مسعاه ثم يقع قتيلا . فهو في نظري يموت شهيد المعالي والشرف وهو لا يختلف عن الشهداء الذين يقضون نحبهم في سبيل الدين او الوطن او العلم . هذه كلها امثلة عليا وطلب المعالي مثل اعلى ايضا .

فحياة المتنبي مأساة من اولها الى آخرها ، يتألـم فنشعر بألمه ويشتكي فنفهم سبب شكواه فيغضب على الدهر فنعرف سر غضبه وفي مصر يصور حالات نفسه في مدائح كافور فنكاد نذرف الدموع على هذه النفس المتألمة . فحياته تماثل حياة سيرانو دي برجراك كل المماثلة فهو شاعر وعزيز النفس وفارس وشجاع وكذلك كان سيرانو بطل رواية ادمون روستان (وقد فعل المنفلوطي خيرا باعطاء عنوان « الشاعر » فكأنه يريد رحمة الله من الشعراء ان يكونوا ذوي شخصية وعزة نفس وشجاعة واحساس والم) فهو يتألم لانه لم يحقق ما يصبو اليه وسيرانو كان يتألم كثيرا لانه لم يفز بحب ابنة عمه روكسان وكلا الرجلين ذو شجاعة نادرة ينفذان الى الامور بقلب جريء قوي .

المتنبي كثير الاحساس والشعراء لا يختلفون الا من حيث طبيعة الحس والخيال ، فالذي يملك هذه الموهبة يحلق في سماء الشعر المتناهي ويبز على اترابه واقرانه .

ان الذي يقرأ نسيب المتنبي في مطالع قصائده يظن لاول وهلة ان صاحب هذه القصائد عاشق متيم ولكن بعد ان يمعن النظر قليلا يرى ان هذا النسيب لا يفصح عن عشق حقيقي وان هذا القول ما هو الا ضرب من التقليد ، فقد كان اسلوب الشعراء في مديحهم والمتنبي جاراهم في ذلك واقتفى اثرهم فالصور في غزله انما هي صور قديمة بالنسبة الى عمره وكان ايضا يتفلسف في الغزل ويتغلب عقله على عاطفته .

لهوى النفوس سريرة لا تعلـم عرضا نظرت وخلت اني اعلم

ولكن المواطن التي تظهر فيها شدة هذا الحس انما هي مواطن الغضب فقد كان في غضبه يتهجم ويشتم وتارة كان يتهكم في اهاجيه تهكما امر من القذع والتهكم في الهجاء اشد ايلاما من السب :

من علم الاسود المخصي مكرمة اقومه البيض ام آباؤه الصيد

ولكنه لم يرم سيف الدولة مثل ما رمى به كافور .

وكان صادقا في رثاء جدته التي ماتت حبا به وفي رثاء ابي الشجاع فاتك ، فالمتنبي صاحب احساس شديد لا يخلو هذا الاحساس في بعض المواطن من شيء من القسوة واي قلب اقسى من القلب الذي يأنس بالدم ومشاهده .

فقد بردت فوق اللقان دماؤهم ونحن اناس نتبع البارد السخن

فلسفة المتنبي وعبقريته : لم تكن فلسفة المتنبي الدين وعمل الخير والتقرب الى الله تعالى فانك تجد في شعره نزعة الى الدين ولم يكن متورعا ثابت الايمان بطبيعة مزاجه لانه صاحب مطامع دنيوية « لا حد لها » ويقال انه لم يكن يصلي ولا يصوم ولا يؤدي زكاة بعد ان اثرى حتى ان الشك ظهر في بعض شعره :

فقيل تخلص نفس المـرء سالمة وقيل تشرك جسم المرء في العطب
ومـن تفكر في الدنيـا ومهجته اقامه الفكر بين العجز والتعب

وانما لما اتصل بسيف الدولة ووصف حروبه في بلاد الروم وردت في شعره ابيات تلائل فيها شيء من النزعة الاسلامية اقتضتها طبيعة الحرب بـين الروم والمسلمين ، وهذا كل شيء .

واما فلسفته التي كافح من اجلها فهي ان الحياة حرب ضروس وان الناس فيها في قتال مستمر :

كلمـا انبت الزمـان قنـاة ركـب المـرء في القناة سنانا

وهو يريدها سالمة من كل جور بعيدة عن كل ذل .

فلا تجد في شعره الا الفاظ العز والمجد والكرامة .

عاشقة

لوحدها جالسة في جانب الريحان
تذوب في منظرها سحرا مع الفستان
في يدها سيجارة تسبح في الدخان
لعلها مشغولة بفارس الفرسان
قد غاب عنها زمنا ولج في الهجران
أو انه أوعدها بالوصل في كتمان
نيسان حب وارف طاف على الجنان
وهي هنا عاشقة في هداة المكان

الكوت ـ العراق كاظم محمد حسين

هذه الحياة التي يريدها المتنبي انها لحياة سامية ولكنها ملطخة بالدم مملوءة بالقلق والاضطراب ، كلها نزاع بعيدة عن الهدوء والسكينة وهذه الفلسفة تشبه فلسفة نيتشه تماما فقد كان نيتشه يعشق ارادة القوة وما فوق ارادة القوة في الحياة

Well to Power, Well to Oover Power.

وكانت حياة المتنبي كفلسفته ، كلها خصام ونزاع مع اعدائه حتى تألب عليه الحساد وكثر مبغضوه . وكان يتوهم ان الناس والاقدار وكل شيء تنصب له العداء حتى كان يظن ان حساده يشمتون به اذا ماتت جدته .

لئن لذ يوم الشامتين بموتها لقد ولدت مني لانفهم رغما

فيما يلي ابيات من شعره تظهر لنا فلسفته :

انما انفس الانيس سباع يتفارسن جهرة واغتيالا
فالظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم

اي الاصل في طباع الناس العدوان والغضب .

القوة في فلسفة المتنبي هي محك الاخلاق وبوتقة الفضائل . فما كان منها قويا او صادراً عن قوة فهو محمدة فاضلة وما كان منها ضعيفا او صادرا عن ضعف فهو مذمة مرذولة .

وكل امرىء يولي الجميل محبب وكل مكان ينبت العز طيب

وهذا قول نيتشه « ما الحسن ؟ كل شيء ينمي في النفس الشعور بالقوة ارادة القوة ، القوة نفسها في الانسان » .

السيادة في راي ابي الطيب هي غاية الحياة والقوة هي اصل الاخلاق .

والفضائل والمحور الذي تدور عليه المحامد والمناقب . فحب النفس في نظر المتنبي هو الحامل الشجاع على شجاعته وحب النفس كذلك هو الحامل الجبان على جبنه .

ارى كلنا يبغي الحياة لنفسه حريصا عليها مستهاما بها صبا
فحب الجبان النفس اورثه التقى وحب الشجاع النفس اورده الحربا

ولكن الحياة التي تحبها النفس الشجاع هي حياة المغامرة والجلاد ومناهضة الخطوب .

وغاية المفرط في سلمه كغاية المفرط في حربه

ان عبقرية المتنبي حلقت في سماء المدح والوصف والحكمة . غير ان الميدان الذي جلى فيه ابو الطيب انما هو ميدان الوصف وبالاخص وصف المعارك والحروب ففي هذه الناحية التي برز فيها المتنبي لتكاد تمثل معظم عبقريته وربما كان لروحه ولطباعه الاثر الابلغ في تبريزه في وصف الحرب وادواتها ، فقد كان هذا النوع من الشعر لاصقا بطبعه ممتزجا بروحه فكان شعره فيه صورته الناطقة واعني بهذه الصورة شغفه بالحروب وسروره الى رؤية الدم .

قلنا قبلا انه حلق في سماء الحكمة وما الحكمة الا وصف دقيق لطبائع البشر وان الذي يخلده انما هي تلك الحكم الرائعة التي صدرت عن تشاؤمه والمه الذي قاساه كل حياته ـ تلك الحكم التي استفاضت في شعره فتمثل الناس بها فكان المتنبي لسان حال البشر جميعهم .

حسن نجيب عيتاني

تحقيقات عرضية

بقلم الدكتور علي جواد طاهر

* * *

(١)

مدارس الادب العالمي – نبيل راغب ، القاهرة ، مطبوعات الجديد ، العدد ٣٦ ، فبراير ١٩٧٥ ، الهيئة المصرية العامة . رئيس التحرير د. رشاد رشدي .

١ – ص ١٨ « وقد حاول كل نقاد المدرسة الكلاسيكية تأكيد الفكرة التي تقول ان الكاتب الكلاسيكي هو من يسير على نهج من سبقوه وارسوا التقاليد الادبية ... ومعنى ذلك انهم يناقضون انفسهم اذ انهم ينادون بأن المصدر الرئيسي للكلاسيكية الادبية هو الادب الاغريقي القديم ، بينما نجد ان ادباء الاغريق لم يقلدوا احدا لسبب بسيط هو ان احدا لم يسبقهم في هذا المضمار ، لذلك جاء ادبهم خالدا قويا لانه بعد عن التقليد الاعمى للنماذج التي سبقتهم ... » .

أ – اذا كانت « يناقضون » تعود على « كل نقاد المدرسة الكلاسيكية » ، فان هؤلاء النقاد لم يناقضوا انفسهم ، لانهم يتحدثون عن المدرسة الكلاسيكية الجديدة ، وهم بذلك يقررون واقعا اذ يقولون « ان الكاتب الكلاسيكي هو من يسير على نهج من سبقوه ... » . وهم اذ يقررون ذلك الواقع يعرفون جيدا ان ادباء الاغريق لم يقلدوا احدا ، بمعنى انهم قلدوا (وحاكوا) الطبيعة . وادباء الكلاسيكية الجديدة يرون ان ادباء الاغريق بلغوا الغاية في تقليد الطبيعة فهم اذ يقلدونهم فكأنما يقلدون الطبيعة نفسها . هذا الى انه لم يقل احد ان تقليد كتاب الكلاسيكية الجديدة كان « اعمى » والا لما كان لهذه الكلاسيكية الجديدة قيمة ولما كان فيها ادباء كبار مثل كورني وراسين ...

ب – لقد قتل نقاد المدرسة الكلاسيكية موضوعهم بحثا ، ولا احسب اننا بلغنا من العلم في اسرار الموضوع درجة الرد عليهم . ان افضل ما نستطيع عمله ان ننقل آراءهم في امانة وكما هي .

٢ – ص ٢٠ « ... المحاولات التي قام بها بوكاتشيو في ايطاليا في منتصف عصر النهضة الاوروبية ... وبعده جاء بترارك وبيمبو وتمكنوا من التحكم ... » .

أ – افضل من قولنا : « منتصف عصر النهضة الاوربية » ان نقول في القرن الرابع عشر (او منتصف القرن الرابع عشر ، اذا كان لا بد من منتصف) لان القرن الرابع عشر لا يكون منتصف عصر النهضة ، وان عصر النهضة في قطر لا يطابقه في قطر آخر ، وهو في ايطاليا اسبق منه في غيرها .

ب – لم يأت بترارك بعد بوكاتشيو ، لانهما كانا متعاصرين . واذا كان لا بد من النص على الفرق الزمني ، فان بترارك كان اكبر سنا من بوكاتشيو . ولد بترارك سنة ١٣٠٤ ، وولد بوكاتشيو سنة ١٣١٣ .

جـ – جاء بترارك وبيمبو وتمكنوا : الصحيح ، وتمكنا .

د – بنا حاجة ماسة الى تعريف بيمبو ؟

٣ – ص ٢٧ « الرومانسية . يرجع اصل كلمة « الرومانسية » الى الكلمة الفرنسية « رومانس » ، ومعناها قصة او رواية سواء اكانت واقعية او خيالية ... » .

أ – لا يكون الكلام على اصل « الرومانسية » بهذه السهولة وبهذا الجزم .

ب – لا يعرف الفرنسيون انفسهم اصل المصطلح ، ولا يدعون انهم مصدره .

جـ – هناك الرومانس الشعري ، والاولى ان يتركز الحديث عنه في اسبانيا . اما الكلمة الفرنسية التي « معناها قصة او رواية سواء اكانت واقعية او خيالية » فهي ليست مما نحن فيه من شأن المدرسة الادبية . لانها بالفرنسية رومان والنسبة اليها والاشتقاق منها : روماني ورومانية .

المهم ان ليس هناك قول نهائي في اصل المدرسة دون غيرها .

٤ – ص ٩٧ « بدات الثورة الانطباعية بالرسام الفرنسي كوربيه ... وفي عام ١٨٧٤ عرض كلود مونيه لوحة بعنوان « شمس مشرقة – انطباع » بقاعة المرفوضين » .

أ – صحيح لفظ كوربيه : كوربه Courbet ، ولا موجب لجعل اسم العلم الفرنسي منتهيا بـ « يه » دون مقابل في الاصل وكما لو كانت نهايته ier .

ب – الانطباعية غير الواقعية . وعندما يختصر الفرنسيون تعريف كوربه يقولون انه زعيم المدرسة الواقعية او واقعي . اما ان يكون قد خرج على القواعد المقررة في الرسم ومهد للانطباعية من بعيد وعن غير قصد ، فذلك شيء آخر يحسن تنبيه القارىء العربي اليه .

جـ ــ صحيح مونيه : مونه لانه Monet . وصحيح ترجمة عنوان اللوحة : « انطباع ــ شمس مشرقة » او « انطباع ــ مشرق الشمس » .

د ــ رسم مونه اللوحة وهو في مدينة « الهافر » سنة ١٨٧٢ ، وعرضت سنة ١٨٧٤ .

هـ ــ معرض المرفوضين عام ١٨٦٣ عرض فيه مانه لوحته « فطور فوق العشب » .

٥ ــ ص ٦٣ « قال دانتي في الفصل الرابع من ملحمته الشعرية « الفردوس » ... » .

اسم ملحمة دانتي معروف جدا هو « الكوميديا » او « الكوميديا الالهية » ، اما الفردوس فهي القسم ــ او النشيد ــ الثالث من الملحمة ، ولا تبوب الاقسام في الكوميدية على الفصول وانما تبوب على الاناشيد .

٦ ــ ص ٦٨ « ان الرمزية لم تعرف كمدرسة ادبية ذات خصائص معينة الا في عام ١٨٨٦ على وجه التحديد... ففي هذا العام اصدر عشرون كاتبا فرنسيا مانيفستو نشر في جريدة الفيجارو الفرنسية يعلن عن الميلاد الرسمي للمدرسة الرمزية ... وقد كتبوا في هذا المانيفستو ... » .

المعروف جيدا ان الذي اصدر المانيفستو ــ ولم لا نقول : البيان ــ اديب واحد هو جان مورياس .

٧ ــ ص ٩٩ «وفي الواقع فان الانطباعية كانت ...» لا موجب للفاء في فان الانطباعية ...

٨ ــ ص ١٣٤ « لا يجب ان نخاف من العدم ... » : يجب الا نخاف .

٩ ــ ص ١٥٣ « الدادية تلك الحركة الادبية التي قادها الفنان والمفكر الفرنسي تريستان تسارا عام ١٩١٦ ... الاجتماعات ... تعقد في ... الحواري ...

الفرنسي : الروماني ، وهو تزارا . الحواري : الحارات ، الميادين .

١٠ ــ ص ١٥٤ « اختلاط الغث بالثمين » .

ربما اراد : اختلاط الغث بالسمين ، لان « السمين » هي الكلمة التي ترد مع « الغث » ، وربما جعل الكاتب او الطابع السين ثاء شكا بالفصيح اذ يغلب العامي .

(٢)

عقدة أوديب في الاسطورة وعلم النفس تاليف باتريك ملاهي ، ترجمة جميل سعيد ، مراجعة الدكتور احمد زروي ، بيروت ، منشورات مكتبة المعارف (بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين) ١٩٦٢ .

من محاسن هذا الضرب من عملية الترجمة ان يذكر اسم الكتاب ومؤلفه والطبع وتاريخه ... وقد لاحظنا ان المترجم قد تصرف بالعنوان قليلا ، لانه في الاصل :

OEDIPUS ; Myth and Complex

وهذا يعني : أوديب ، اسطورة وعقدة . الفرق قليل ، ولكن لم لا نبقى عند الاصل وهو ممكن وأدق .

ثم اننا لو أوجدنا للحرف الاول من اسم المؤلف P باء بثلاث نقاط كان احسن . ومثل ذلك للاعلام التي ترد فنكتب يونج : يونك بالكاف ، الفارسية ، ونكتب فينيغان : فيئكان ، بالكاف الفارسية ايضا ، ولتجنبنا الاضطراب في اقطار عربية مختلفة بل لتجنبنا الاضطراب في الكتاب الواحد ، وها نحن اولاء نكتب حرفا واحدا هو ال G مرة جيما ومرة غينا .

هذا واننا اعتدنا ان نكتب سيجموند فرويد بالسين متابعة للانكليز والفرنسيين مع انه بالالمانية بالزاي ...

(٣)

تفسير الاحلام ــ سيجموند فرويد ــ ترجمة مصطفى صفوان ، راجعه مصطفى زيور ، القاهرة ، دار المعارف (سلسلة المؤلفات الاساسية في التحليل النفسي) د.ت.

١ ــ ص ٢٠ « ان المترجمين اتبعوا في العادة احدى طريقتين : فهم اما اسقطوا بعض الاحلام ... واما استبدلوا بها احلاما من عندهم » .

ليست هذه بالعبارة العربية ، ويمكن ان يكون صحيحها هكذا : « ... فهم اما ان يسقطوا ... واما ان يستبدلوا ... » .

٢ ــ ص ٢٤ «بحرف ابجدي ...» : بحرف هجائي .

(٤)

النقد الفني ــ دراسة جمالية وفلسفية ــ تأليف جيروم ستولنيتز ، ترجمة د. فؤاد زكريا . القاهرة ، مطبعة جامعة عين شمس ، ١٩٧٤ .

١ ــ حسنا فعل المترجم اذ ثبت العنوان الاصلي واسم المؤلف والناشر باللغة المترجم عنها ــ والكتاب مع الكتابين السابقين من الجهود الضخمة في الترجمة الى العربية .

٢ ــ ص ٧١٢ « وقد عرض هذا التفسير ارنست جونس في كتابه « هاملت وأوديب » ... » وتكرر « جونس » في الصفحة نفسها .

اما على الصفحة التالية (٧١٣) فقد ورد على « جونز » وهو الصحيح Jones .

٣ ــ ص ٧١٤ « ويستخدم جونز هذه النظرية ، لا في تحليل العمل الفني فحسب ، بل تحليل الفنان ايضا » .

العبارة العربية متأثرة بالعبارة الانكليزية كثيرا ، والافضل ان نقول : « ولا يستخدم جونز هذه النظرية في تحليل العمل الفني فحسب ، بل في تحليل الفنان ايضا » .

ويمكن ان نقول : ويستخدم جونز هذه النظرية في تحليل العمل الفني وتحليل الفنان .

او : ويستخدم جونز هذه النظرية في تحليل الفنان كما يستخدمها في تحليل العمل الفني .

٤ ــ ص ٧٠٧ « هل نقاد هملت مجانين ام انهم يتظاهرون بذلك » ــ وتنظر ص ج .

الصحيح : انقاد هملت مجانين ام انهم : يتظاهرون بذلك .

٥ ــ ص ٦٩٥ « احدهما كتب حكايات خرافية هازلية ساخرة ، على حين كتب الآخر تراجيديات مشبوبة بعاطفة تؤدي بأبطالها الى حتفهم » .

هازلية : هزلية او هازلة .

٦ ــ ص ٦٩٠ « على ان الماركسيين لا يقفون عند حد النقد التفسيري ، وبل انهم يقومون ايضا بنقد تقديري» .

لا تجتمع الواو وبل ، ويمكن ان تصحح الجملة هكذا : « وانما هم يقومون ... » .

٧ ــ ص ٦٧٦ « والاهم من ذلك كله ... » وتنظر ص ٧٢ ، ٢١٢ ، ٢١٤ .

الصحيح : واهم من ذلك كله .

(٥)

حياتي والتحليل النفسي ، تأليف سيجموند فرويد ، ترجمة مصطفى زيور وعبد المنعم المليجي ، القاهرة ، دار المعارف (سلسلة المؤلفات الاساسية في التحليل النفسي) ١٩٥٧ .

١ ــ ص ١٨ « حتى انني » وردت بفتح الهمزة والصحيح كسرها « حتى إنني » .

٢ ــ ص ٣٧ « كان « جانيه » يرى ان المراة الهستيرية مخلوق تعيس ... » ــ وتنظر ص ٧٧ ، ٦٢ .

أ ــ يسمح الكتاب المصريون لانفسهم بأن يكتبوا الجيم العربية جيما فارسية (بثلاث نقاط) ودافعهم الى ذلك تنبيه القارىء المصري الى ان الكلمة ج وليست كيما (فارسية) لانها مبدوءة في الاصل بالـ J وليس بالـ G .

وليس هذا بالصحيح في التصرف لانهم لا يكتبون الى المصريين وحدهم ، ولانهم لا يخاطبون الاميين ، ولان المصطلح يجب ان يكون عربيا غير مقتصر على قطر دون قطر .

ب ــ تعيسة : تعسة او تاعسة .

٣ ــ ص ٣٩ « برغم ان النسيان قد عفا على الجزء الاكبر منها » .

نقول « عفا المنزل درس وعفته الريح يتعدى ويلزم ... » وعلى هذا يمكن ان تكون عبارة الترجمة : « ... ان النسيان قد عفا الجزء الاكبر منها » او « قد عفا الجزء الاكبر منها بالنسيان » .

٤ ــ ص ٥٧ « ما ان أدركت ... » بفتح همزة ان ؛ والصحيح كسرها « ما ان ... » ، ومثلها ص ٥٩ « حيث ان » والصحيح « حيث ان » .

٥ ــ ص ٦٣ « جونس » تبدأ بجيم فارسية وتنتهي بسين .

أ ــ البداية ج عربية لانها تقابل الـ J ــ وتنظر ص ٧٥ .

ب ــ النهاية ز لانه جونز Jones .

(٦)

من الرومانث الاسباني ، بقلم د. صلاح فضل ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة ، المكتبة الثقافية (٣٠٨) ١٩٧٤ .

١ ــ ص ٢٦ « من عطر غريب وشذى شرقي » : شذا .

٢ ــ ص٣٠ « حتى ان » ــ بفتح الهمزة ، « اما الاغنيتين الثانيتين ... » ، « لا يرقى ... الى المستوى الذي وصل اليه في اسبانيا من حيث ثراء الموضوعات ولا اسلوب تناولها ... » .

أ ــ حتى ان ــ بكسر الهمزة .

ب ــ أما الاغنيتان الثانيتان .

جـ ــ الجملة الاخيرة اما ان تكون هكذا : من حيث ثراء الموضوعات واسلوب التناول ، واما أن تكون هكذا : لا من حيث ثراء الموضوعات ولا من حيث اسلوب تناولها ، او : ان في ثراء الموضوعات وان في اسلوب التناول .

٣ ــ ص ٣٧ « بعد الثانية عشر ... » : بعد الثانية عشرة .

٤ ــ ص ٤٤ ــ أ « ... كان الفتى ... هذا الذي هواها » : هويها .

ب ــ « ثمار مريرة » : مرة .

٥ ــ ص ٦٠ « الكأس المنعش الـذي تعودت ان تشربه ... رفعت الكأس ووضعتـه ... » : المنعشة التي ... تشربها ... ووضعتها .

٦ ــ ص ٨٤ « متزوجة انا ... ولست بأرمل » : ولست بأرملة . الارمل للرجل ... والارملة للمراة .

(٧)

تاريخ الادب اليوناني ــ دكتور محمد صقر خفاجة ، القاهرة الـ ١٠٠٠ كتاب ١٩٥٦ .

١ ــ ص ٤١ « هوميروس ... من المحتمل انه عمر طويلا » . وردت بفتح ميم عمر والصحيح كسرها (بعد ضم العين) ، لان الفعل يبنى للمجهول .

٢ ــ ص ١٣٩ « جورجياس ولد عام ٤٨٥ ق.م ... وعاش مائة سنة تقريبا » .
ذكر الدكتور خفاجة في كتابه « النقد الادبي عند اليونان » ص ٣٣ : « جورجياس (٤٨٣ ــ ٣٧٥ ق.م.) »

الادب اليونانـي في عصر الاسكندريـة : شعـر الاسكندرية ، تأليف فيليب اميل لجران ، ترجمة دكتور محمد صقر خفاجة ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٢ .

١ ــ كنا نتمنى لو ا ن المترجم ثبت اسم المؤلف واسم كتابه بلغتهما الفرنسية ، لان حروفنا العربية اضطربت ــ او اضطرب بها اهلها ــ لدى التعبير عن مثل لجران ، فهل الجيم G او J ثم ان الفرنسيين قـد يفصلون في الاعلام بين اللام هذه والجيم وقد يصلون وكأنهما كلمة واحدة ــ ثم جاءت فرصة نشر المترجم مؤلفه شعر الرعاة فاذا هـي كلمة واحدة Legrand لكران ــ بالكـاف الفارسية .

٢ ــ ص ٦ « لن يجد القارىء ... كما انه سوف لا يجد ... » : صحيح سوف لا : لن .

٣ ــ ص ٧٠ « كيف كان في الامكان ان يمتلأ الكاتب حماسا عندما يتكلم عن الادوية» : الصحيح ، ان يمتلىء... يتكلم على ...

٤ ــ ص ١٤٤ ، ١٨٥ طرق التعبير ، طرق التاليف : طرائق .

(٨)

الادب اليوناني في عصر الاسكندرية : شعر الرعاة . درسه وترجم نصوصا منه دكتور محمد صقر خفاجة . القاهرة ، دار الكتاب المصري د.ت.

١ ــ ص ١٥ : «كانوا يسيرون بخطا ...» : بخطى.

٢ ــ ص ١٦ « أما عن ادعاء بعض النقاد ان شعراء الاسكندرية لم يكونوا سوى مقلدين فاننا نجد ردا عليهم في الابيات التـي نظمها كاليماخوس ، زعيـم مدرسة الاسكندرية ، يوضح ان المسألة لم تكن تقليدا بحتا ولم تعدم مظاهر التجديد والابتكار ، فنراه ينصح ادباء عصره : « بأن يسيروا في طرق لم يمش فيها احد من قبل ويبحثوا عن عين صافية ومنبع عذب ، ويقطفوا الازهار الجديدة .
ثم يطلب اليهم « الا يقتفوا اثر غيرهم » فهو يدعو بذلك الى الابتكار والتجديد وعدم التقيد بآثار السلف .
وهذا ما فعلوه ... » .
يلوح لي ان الدكتور خفاجة في كتابه هذا متحمس للاسكندرية ، ويلوح لي كذلك ان نصائح كاليماخوس يمكن ان تدل على الوجه الآخر الا وهو شيوع التقليد وسيادة الضعف ونضوب التجديد والابتكار ، والا لما كان موجب الى هذه النصائح وهذا الاهتمام ...

٣ ــ ص ١٩ « ابوللونيوس » : ابولونيوس . لا موجب للامين لان الشدة على لام واحد تعنى اللامين ، وليكن ــ بعد ذلك ــ الاسم الاجنبي بلامين من حروف لغته . وتنظر ص ٢١ ، ٢٣ ، ٧٧ (ابوللون) ، ١٢٣ ، ١٢٥ .

٤ ــ ص ٢٠ « حتى انه » ــ بفتح همزة ان : حتى انه ــ بكسرها . ص ٧٩ « ما أن بلغت » ــ بالفتح : ما ان بلغت ــ بالكسر . وتنظر ص ٨٠ .

٥ ــ ص ٤٥ « ما ان حل بالاسكندرية الا ولازمه » : الا لازمه .

٦ ــ ص٦٦ ، ٦٧ « اي صديقاتي ربات الشعر ! هلم لكن ! ابدأن اناشيد الريف » . لم أر في الاستعمال العربي « هلم لكن » . ولكن في العربية هلم وهلمي ... ويمكن ان نقول ــ على هذا : هلمن . جاء في المعاجم : « هلم يا رجل بفتح الميم بمعنى تعال يستوي فيه الواحد والجمع والمؤنث في لغة اهل الحجاز . واهل نجد يصرفونه فيقولون هلمـا ، هلموا ، هلمي ، هلمن ... والاول افصح » .

٧ ــ ص ٨٥ « كوزبرة » : الكزبرة .

٨ ــ ص ٩٥ « المغزل » ــ بكسر الميم : لا موجب لكسر الميم لانها مثلثة ، ومن اللغويين من يفضل الضم .

(٩)

المـورد (مجلة تراثية فصلية ــ بغـداد ، المجلد السابع ــ العدد الاول ١٩٧٨) : اللغة العربية وآدابها في الرسائل الجامعية للطلبة العراقيين حتى تموز ١٩٧٧ ، اعداد صباح نوري المرزوك .

١ ــ ذكر الكاتب مصادره ، وكان من المناسب ان يستعين بكتاب الاستاذ كوركيس عواد ــ معجم المؤلفين العراقيين ، او ان يذكره وينبه اليه .

٢ ــ ذكر اسماء رسائل لم تنجز مثل الرقم (٢١) من الدراسات اللغوية . واذا كان ذكر هذا ضروريا فانه يلزمه ذكر اسماء اخرى .

٣ ــ الرقم ١٨٣ ديوان كشاجم لم يتم على انه رسالة ، وطبع على انه تحقيق بدىء المشروع فيه رسالة .

٤ ــ الرقم ١٩٠ طبعت الدراسة عن العباس بن الاحنف في بغداد سنة ١٩٧٦ ، اما الذي طبع في القاهرة ١٩٥٤ فهو الديوان .

٥ ــ الرقم ٢١٠ ورد هكذا : « محمود صالح الصنمور » وصحيحه « ... الضمور » مع ملاحظة ان الطالب اردني .

٦ ــ لم يذكر في « الادب الاندلسي » ــ بتول العلاف ... ولم يذكر باقر عبد الغني ــ ديوان التطيلي .

٧ ــ صحيح عنوان الكتاب ٢٢٥ ا ــ الحياة الادبية في اشبيلية ــ وقد طبع ...

٨ ــ الرقم ٢٢٩ ، الطالب اردني ... ، الرقم ١١ ليس عراقيا .

٩ ــ الرقم ٢٣٣ ــ ديوان ابن نباتة السعدي ، يدخل في باب الادب العباسي وليس في الفترة المظلمة .

١٠ ــ الرقم ٢٥٠ ورد على انه شهادة ماجستير ــ باريس ، والصحيح : متريز .

١١ ــ الرقم ٢٦٥ « الاداء المسرحي في الادب العربي الحديث» طبع بعنوان «الشاعر العربي الحديث مسرحيا» .

١٢ ــ وضع تحت باب « منهج البحث » الرقم ١٢٧ « دراسة لمؤلفات الطغرائي » ولا علاقة للموضوع بالباب. انه دراسة لمؤلفات الطغرائي في الكيمياء ...

١٣ ــ ورد خطأ مطبعي في الرقم ٢٧٠ ب فقد جاءت « القيادات » بدل التيارات .

١٤ ــ لم يذكر عبد الهادي الفضلي ــ اسماء الافعال والاصوات ١٩٧٠ . محمد صالح التكريتي ــ الزجاج ، حياته وآثاره ومذهبه في النحو ١٩٦٧ .

(١٠)

المتنبي الصغير بقلم عمر الاسعد . مقال منشور في مجلة الاديب (بيروت ، يونيو ١٩٧٨) ــ والمقصود بالمتنبي الصغير الابيوردي المتوفى سنة ٥٠٧ هـ .

١ ــ سبق لباحث عربي ان اطلق اللقب ــ منذ سنة ١٩٥٢ على الطغرائي الذي عاصره الابيوري (وهو يرى ان الطغرائي اقرب الى المتنبي من الابيوردي ، والمسألة مسألة راي) .

٢ ــ قال الدكتور الاسعد « سلم لنا من آثاره ثلاثة كتب : (١) ــ المختلف والمؤتلف ، وهو كتاب في الانساب حققه المرحوم الاستاذ مصطفى جواد . (٢) ديوان شعره ، وهو جزآن : العراقيات والنجديات ... (٣) زاد الرفاق ... » .

ا ــ لم يصل الينا كتاب المختلف والمؤتلف ، ولم يحققه المرحوم الاستاذ مصطفى جواد .

ب ــ قال ابن خلكان : « قسم ديوان شعره الى اقسام منها العراقيات ، ومنها النجديات ، ومنها الوجديات وغير ذلك » .

ج ــ زاد « الرفاق » جدير بالتحقيق والنشر ، منه نسخة في دار الكتب بالقاهرة ، ونسخ اخرى في غيرها .

٣ ــ « ولم نقف على الاعمال التي تعاطاها في بغداد ... » .

ــ من « الاعمال التي تعاطاها في بغداد » : انه ولي خزانة دار كتب المدرسة النظامية بعد وفاة القاضي أبي يوسف التي وقعت عام ٤٩٨ ــ هكذا روت المصادر : خريدة القصر ، معجم الادباء .

٤ ــ « وليست النجديات نسيج وحدها في هذا العصر ، فقد عمل الشريف الرضي مجموعة غزلية واسعة الشهرة عرفت بالحجازيات ، وعمل الطغرائي مجموعة اخرى لها الاسم نفسه ... » .

ا ــ وقولنا « في هذا العصر » يوحي بأن الابيوردي والشريف الرضي من عصر واحد . وليس الامر كذلك ، فالشريف من العصر البويهي وقد توفي سنة ٤٠٦ ، والابيوردي من العصر السلجوقي وقد توفي سنة ٥٠٧ .

ب ــ لم يعمل الطغرائي مجموعة غزلية باسم الحجازيات .

٥ ــ « ويجمل بي ان اختم الكلام بعرض لوحة من لوحات الوفاء : مرثية تركها الطغرائي في صديقه الابيوردي، قال فيها :

صحبتني والشباب الغض ثم مضى كما مضيت، فما في العيش من وطر»

ــ يا حبذا لو عرفنا المصدر الذي ينص على ان مقطوعة الطغرائي كانت في رثاء الابيوردي .

كرامة المهزوم

كانت همومك لا تزال همومي — لما رجعت اليك كالمحموم
وضحكت للدنيا ، كأن لم ينشعب — وتر النديم بنصله المسموم
وسألتني ، والكبرياء على فمي — صمت تثاقل في ارتعاش وجومي
« مالي ؟ » ، ومالك ترخصين نباهتي — ومن الغباء تجاهل المعلوم
شوهت صورتك التي في خاطري — لما صعقت بحبك الموهوم
فحفظت ذكراها ، ولو مزقتها — لحجبت عني صفوها بغيومي

قد كنت ترياقي ، فلما صوحت — لي جنة كانت ملاذ نعيمي
آليت لا تشجيك مني همسة — وحرصت لا يؤذيك لفح سمومي
أنا ما رجعت الى رحابك شاكيا — متعثرا في حبي المكتوم
لكنما نبل القلوب يصونها — فترى الوفاء أحق بالتكريم

غيري ينافس أو ينافس في الهوى — ولقد يبوح بأنة المحروم
أما أنا ، فلقد حفظت عن العلى — ألا أبيح كرامة المهزوم
أ.كرت أم لم تنكري ، سيان لي — ما عدت غير هوى لدي ، قديم
لي رفعة التوحيد في حبي ، فما — همي اذا أولعت بالترقيم

فوزي عطوي

(١١)

الفردوسي — الشاهنامة ، ملحمة الفرس الكبرى ،
ترجمة سمير مالطي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، تموز (يوليو) ١٩٧٧ ، ٢٣٨ ص متوسطة الحجم .

١ — الكتاب من غير اية مقدمة . وكان مناسبا جدا ان نعرف شيئا ولو موجزا عن طبيعة الترجمة ، لان دار العلم ليست دارا تجارية بالمعنى السيء للكلمة .

اهي مترجمة عن الفارسية ؟ ام عن لغة اخرى ، اوروبية مثلا ؟ أهي كاملة ام مختصرة ، واذا كانت مختصرة فما مدى الاختصار ؟

وبعد ، فان الشاهنامة في اصلها شعر للفردوسي ، يتراوح عدد ابياتها على اختلاف في الروايات بين ٥٠،٠٠٠ — ٦١،٠٠٠ بيت .

ترجمها الى العربية نثر — بعد الاختصار — في القرن السابع الهجري الفتح بن علي البنداري ، وقد حقق هذه الترجمة ونشرها الدكتور عبد الوهاب عزام بالقاهرة سنة ١٩٣٢ فجاءت الترجمة في اكثر من ٦٠٠ صفحة ، وقد توصل الدكتور عزام الى ان البنداري اختصر زهاء ثلث الاصل ، واذا قابلنا بين النص النثري الذي نشره الدكتور عزام والنص النثري الذي نشرته دار العلم للملايين يمكننا القول ان نشرة دار العلم تقع في حدود ثلث مختصر البنداري ومعنى ذلك ، وعلى اوسع تقدير تكون الترجمة الجديدة في نحو ربع الاصل .

ويمكن ان تكون الحال نفسها او قريبة منها في الالياذة والاوذيسة والانيادة مما صدر قبل الشاهنامة هذه.

اما كان من الممكن — ومن الافضل — طبع نص البنداري او الاختصار عنه ؟

ملاحظة : تعقيبا على تحقيقات الجزء السادس من « الاديب » يلاحظ :
١ — ما جاء تحت كتاب « اتجاهات الشعر » ، « ان يمحي وجوده » تكون صحيحة اذا قرئت بتشديد الميم .
٢ — ما جاء تحت كتاب « المسرح الملحمي » : « اعدائهم » ، يمكن ان تكون صحيحة اذا قرئت معطوفة على « الشعب » .

كلية الآداب بجامعة بغداد — علي جواد الطاهر



احمد حسين الطماوي

شوقي والمويلحي بين الجفاء والاخاء

بقلم احمد حسين الطماوي

* * *

ليس هناك اعجاب مطلق بالعبقريين والنابهين ، وحتى في اعلى درجات الاعجاب بأحد النابغين فاننا نأخذ عليه هنات ما كان يجب ان تصدر عنه ، وهذا يجعلنا نستنكر منه اشياء ، ونستصغر منه امورا .

ولكن هناك بعض الاشخاص تبلغ درجة افتتانهم بأحد الشعراء او الابطال حدا لا مزيد عليه فيفرطون في مديحه على كل فعل ، ويبالغون في الثناء عليه في كل قول ، ولا يقيمون وزنا لصغائره ولا ينتقدون شيئا من معايبه ، حتى ولا تتسع صدورهم لانتقاد الآخرين له ، وهكذا تستغرقهم افكاره ، وتغمرهم آراؤه ، فيقدرون الاشياء بأكثر من قدرها ، ويزنون الامور بأكبر من مثقالها .

ومن الشعراء الذين حظوا بافتتان الكثيرين « احمد شوقي » وعند صدور ديوانه في طبعته الاولى تناولته اقلام الكتاب بالمديح الوسيع ، والتقريظ البليغ الذي يتجاوز حد الحقيقة وكان في نظرهم شاعرا يحفه الاجلال ويحيط به التعظيم .

وفي مارس ١٩٠٠ طلعت « مجلة الموسوعات » على قرائها بمقال عن الشوقيات جاء فيه : « بشرى فقد ظهرت الشوقيات » يحق للشعراء والكتاب ولسائر العجم والاعراب ان يهتفوا الآن بعظيم البشرى على هذه المنة الكبرى ويحق لبني مصر ان يغفروا للدهر كل سيئاته ويقيلوه من اسالف عثراته ، حيث اتاح لهم اكبر الحسنات وجاء اليوم بالجزء الاول من الشوقيات .

وقد رددت بعض الصحف الاخرى كالمؤيد واللواء مثل هذه الكلمات التي ليس فيها الا الثناء على شعر شوقي ، ولكن صحيفة اخرى كان لها راي معتدل ، واتجاه متزن ، تناولت ديوان شوقي بالنقد في المواضع التي تستأهل ذلك ، واشادت بالابيات الحسنة ، تلك الصحيفة هي « مصباح الشرق » وكان الكاتب الذي تناول ديوان شوقي بالدراسة والانتقاد هو محمد المويلحي .

تناول المويلحي « الشوقيات » بالنظر فيها وتوجيه النقد اليها والتنقير عن معايبها ، في خمس مقالات ، جاءت ثلاث منها تحت عنوان « امر مبكياتك لا امر مضحكاتك » وجاء المقالان الآخران تحت عنوان « نقد الشعر » وقد قرأتها جميعا في « مصباح الشرق » ومن حسن الحظ ان المنفلوطي جمع هذه المقالات في كتابه « مختارات المنفلوطي » الذي ظهر عام ١٩١٢ وقد علق عليها في هامش الكتاب بقوله : « والغرض من نشر هذه الرسالة هنا الاتيان بمثال حسن من ادب الانتقاد ودقة النظر فيه وجمال اسلوب كتاباته » ويبدو من هذا التعليق ان المنفلوطي قد ضم صوته الى صوت المويلحي . وربما يكون قد خشي شيئا فاستدرك قائلا : « اما ما وراء ذلك من صحة اوجه الانتقاد جميعا او صحة بعضها دون بعض فهو مبحث آخر لا دخل له في موضوع الاختيار » .

وقد تناول المويلحي في مقالاته نقد مقدمة شوقي النثرية لديوانه ثم عرج على بعض شعره ولكنه لم يوغل فيه فتوقف فجأة رغم انه ذكر في المقال الخامس الذي نشر في ١٨ مايو ١٩٠٠ « ويتبع الانتقاد » ولكن الانتقادات لم تتابع كما وعد .

ولم يكن من اهداف المويلحي انزال شوقي من عليائه ، او خفضه من مكانته السامية ، ولكن كان القصد تنبيه شوقي الى قبيح شعره فيحذفه او ينقحه ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى لفت انظار المادحين الى اهمية الانتقاد لما له من فوائد جمة ، وهذا يتضح من قوله في المقالة الاولى : « ومن نكد الدنيا على الادب في مصر ان ارباب الجرائد فيها لم يلتفتوا يوما الى هذا العمل النافع » اي النقد بل جعلوا ديدنهم التعالي وسوء المبالغة في مدح ما يظهر في الوجود من رسالة كاتب او قصيدة شاعر او تأليف مؤلف او تعريب معرب بقطع النظر عما اذا كان ما يمدحونه اهلا للمديح وجديرا بالثناء » . ثم تعرض لمقدمة الديوان بالانتقاد فقال « ... اما المقدمة من حيث صناعة الانشاء ومن حيث اللغة فانها تدل على انه شاعر لا ناثر ، وتدل

على انها كانت تحتاج الى اعادة نظر للتنقيح والتصحيح » فاذا نظرت في الصحيفة الاولى وحدها وجدته يقول فيها عن الشعر « قاله امرؤ القيس واصفا وحاكيا وضاحكا وباكيا وناسبا وغازلا » والغازل هنا من قولك غزلت المراة القطن والكتان وغيرهما . من باب ضرب غزلا مدته وفتلته خيطانا ، ولا يكون امرؤ القيس « غازلا » اما اذا كان غرضه الغزل محركا فلا يأتي اسم الفاعل منه غازلا وانما يقال رجل متغزل « وقد رجعنا الى لسان العرب ونظرنا في مادة « غزل » بفتح الغين وكسر الزين كعلم وفرح ويأتي منها اسم الفاعل غازل وعالم وفارح وعلى هذا يكون انتقاد المويلحي باطلا .

وقد وصف المويلحي شوقيا بأنه شاعر لا ناثر ، وهو يلتقي مع اليازجي في هذا الراي وقد « كان شوقي يتألم من القول انه شاعر لا « كاتب » حسب ما قال الدكتور محمد صبري السربوني في الشوقيات المجهولة ثـم قال المويلحي « وفي الصحيفة نفسها خطأه من حيث التاريخ اذ قال « امـــا بعد فما زال الشعر معقودا لامراء العرب واشرافهم » وامراء العرب واشرافهم كانوا بمعزل عن نظم الشعر وكانوا يأنفون من قوله ويعدونه غير لائق بمقاماتهم ، وحكاية حجر مشهورة . وهي انه غضب على ابنه امرىء القيس لما سمع انه ينظم الشعر فأمر خادما له يذهب به ليقتله ويأتيه بعينيه امارة على قتله فرحم الخادم الغلام فدسه في جبل ورجع الى مولاه بعيني ظبي » .

وقد يكون المويلحي متأثرا بما ورد في المقدمة الادبية لشرح الامام المرزوقي على ديوان الحماسة لابي تمام فقد جاء في هذه المقدمة : « وكانوا يأنفون من الاشتهار بقرض الشعر ويعده ملوكهم دناءة وقد كان لامرىء القيس في الجاهلية مع ابيه حجر بن عمرو حين تعاطى قول الشعر فنهاه عنه وقتا بعد وقت وحالا بعد حال ما احرجه ، الى ان امر بقتله وقصته مشهورة فهذا واحد » .

وقول المويلحي ان امـــراء العرب واشرافهم كانوا يأنفون من نظم الشعر فيه تزيد ان لم يكن مجافيا للصواب ، فدواوين العرب واخبارهم تحمل الينا ان الكثير من هؤلاء الامراء والاشراف كانوا يقرضون الشعر من امثال سفيان بن حرب وقد كان ابوه قائد بني امية في الجاهلية اما هو فقد كان سيدا من اسياد قريش ، وممن قالوا الشعر من اشراف العرب عمرو بن العاص ، وابوه من سادة العرب وغيرهما ممن نظموا الشعر كالمعتز وابن المعتز ، والمتصفح لكتاب « الاغاني » يجد ما لا يمكن ان تضمه هذه الصفحات وان المثال الذي اقام المويلحي عليه دليله وهو نهي حجر لابنه امرىء القيس بسبب تشبيبه بفاطمة لا يجعلنا نقطع بالقول ان امراء العرب كانوا يأنفون منه .

ولو كانت العرب تأنف من قول الشعر لما ردد عمر بن الخطاب وهو امير المؤمنين بيتا من قصيدة عبدة بن الطبيب، وبيتا من قصيدة ابي قيس بن الاسلت متعجبا ، وقد كان للشاعر العربي مكانة عظيمة ، وقد اورد الجاحظ في كتابه « البيان والتبيين » قول عمر بن العلاء « كان الشاعر في الجاهلية يقدم على الخطيب بفرط حاجتهم الى الشعر الذي يقيد عليهم مآثرهم وفخم شأنهم ويهول على عدوهم ومن غزاهم ويهيب من فرسانهم ويخوف من كثرة عددهم ويهابهم شاعر غيرهم فيراقب شاعرهم »(1) وهذا الكلام يبين دور الشاعر ورفعة شأنه بين قومه .

اما المقال الثالث فقد لام فيه شوقيا على اطنابه في الحديث عن نفسه والزهو بها ، وقد يكون الاطناب في حد ذاته عيبا اذا خلا من الاحداث الهامة الدالة على شيء . ولكن كثيرا مما يرويه الشاعر او الاديب عن نفسه يكون هاديا الى فهم ادبه، وتفسير الغامض فيه، وفي مقدمة شوقي لديوانه كلام فيه فائدة وكلام فيه حشو ، فيحسب هذا له ، ويحسب ذاك عليه . الا ان المويلحي يأخذ عليه شيئا هاما وهو ما اسماه « السهو في التعبير » يقول المويلحي« ومن باب السهو في التعبير قوله عن المغفور له توفيق باشا « فتحلى بصورة الغضب » وليس الغضب حلية يتحلى بها » وان امثال هذه الهنات تفوت الشعور عنــد المويلحي بأن شوقيا شاعر لا نثار .

وفي المقالين الرابع والخامس راح يأخذ عليه اخطاء لغوية ومن ذلك استخدام شوقي لكلمة « خدامة » في هذا البيت وهي ليست من العربية في شيء :

وكل ذي همة شريف   يقوم الخلق بالخدامة

ومن مآخذه على شوقي ذكر لفظ « آنة » في هذا البيت :

فهـي آنـة صعد   وهي آنـة صبب

ولا يقال في اللغة آنة بل يقال « آونة » وهي جمع الاوان كما خطأ شوقيا عندما جمع « غصن » على « اغصن » في قوله :

والخصور واهيـة   بالبنـان تنجـذب
سالت الاكف بهـا   نهـي اغصن نهب

فقال المويلحي « الغصن لا يجمع في اللغة الا على غصون وغصنة واغصان » .

وان اهتمام المويلحي باللغة صرفه عن النظر في معاني الشعر الا فيما ندر ، وفي هذا المثال الذي ضربه واخذ على شوقي فيه خطأه في « اغصن » لم يلتفت الى المعنى الوارد في هذين البيتين فالخصور الواهية التـي تنجذب باصبع صورة غير شائقة ولو ان امراة لها هذا الخصر الواهي الضعيف لعد هذا عيبا فيها وقد عيب على ابي تمام قوله :

---

(1) — البيان والتبيين ص ١٣٦ الطبعة التي وقف على طبعها محب الدين الخطيب .

من الهيف لو ان الخلاخل صيرت لها وشحا جالت عليها الخلاخل

كما عيب على البحتري قوله :

ولو قست يوما حجلها بحقابها لكانا سواء لا بل الحجل اوسع

كما اخفق المويلحي في نقد هذا البيت :

خدعوها بقولهم حسناء والغواني يغرهن الثناء

حيث قال « قوله خدعوها يفهم منه ان المشبب بها غير حسناء » « وخدعوها بمعنى ختلوها وارادوا بها المكروه من حيث لا تعلمه » والواقع ان الانثى سواء كانت حسناء او شوهاء فانه يطربها الثناء وتستريح الى سماعه وانه لا يمكن ان يستميل الرجل انثى اليه بدون ثناء على جمالها حتى ولو لم تكن فاتنة .

هذا اهم ما جاء في هذه المقالات الخمس التي كانت فاتحة نقد الشوقيات وناظمها وهي كما عرضناها لم تكشف الا عن اخطاء لغوية اما عن مضمون الشعر ، وتقدير خيال الشاعر ، والتعبير الشعري ، والصور الفنية ومدى صدق الشاعر في التعبير عن احاسيسه وعن موضوعات الشعر فلا تجد شيئا لـه قيمته وواضح ان انتقادات المويلحي مباشرة ملحوظة ، محصورة الاطار ، مقصورة الغاية ، وعلى ناقد الشعر ان يمد نظره في تراكيب الاشعار ليهتدي الى علته اذا كان معلولا ، ويلحظ جماله اذا كان جميلا ، وكان الواجب على المويلحي ان يتوسع في نقـد المعاني ويكشف له الالفاظ القلقة في ابياته ، ويبين له كيف يستعين بغيرها حتى تتبدل هيئة المعاني لتحقق الغرض الشعري المنشود ، ولو ان المويلحي توسع في ذلك لكان لنقده شأن آخر ولكن يبدو انه متأثر بطريقة بعض القدماء في النقد حيث كانوا يهتمون باللفظ اكثر من المعنى وعلى سبيل المثال يقول ابو هلال العسكري صاحب كتاب « الصناعتين » : « وليس الشأن في ايراد المعاني فالمعاني يعرفها العربي والعجمي ، والقروي والبدوي ، وانما هو جودة اللفظ وصفاؤه ، وحسنه وبهاؤه ونزاهته ونقاؤه ، وليس يطلب من المعنى الا يكون صوابا مستقيما ، اما اللفظ فلا يقنع به قانع حتى يكون على ما وصفناه » .

ولا شك ان المويلحي كان يرمي الـى تقليل تأثير « الشوقيات » في نفوس قارئيها ، وتخفيض درجة الحماسة لها ، ومع ذلك فقد خـلا انتقاده من العبارات الجارحة والالفاظ النابية وكما ذكر بعض المثالب والمآخذ ، اورد بعض الابيات التي استحسنها وارتضاها ذوقه ، والارتياح الى بيت او بيتين في القصيدة يرجع الى مقاييس النقد في زمانه ، حيث كان المرصفي يدعو الى وحدة البيت في كتابه « الاسيلة الادبية » .

ويعتبر نقد المويلحي للشوقيات من نوع النقد الذي لا يتغيا تجريح الاشخاص ، والاستخفاف بهم ، واستصغار مؤلفاتهم بقصد التشفي او اثبات التفوق والاعتلاء ، وبعبارة اخرى فان ما كتبه المويلحي هو اقرب الى النقد من الهجو ، وادخل الى العلم منه الى اللغو ، فلا تلمح فيه اذى ولا قذى يلزم كاتبه الاعتذار عنه ، ويلزمنا التنديد به ، وقد يكون فيه تجوز مقبول او تزيد معقول ، ولكن لا يستخدم اسلوبا فيه خشونة العبارة ، ولا غليظ الكلام .

ومهما يكن من امر فان هذا النقد وان كان يبدو ضئيلا امامنا الآن بعدما تعددت الدراسات النقدية عن شوقي الا انه في حينه يعتبر جراة كبيرة ، واقتحاما لموضوع الفت اذهان الناس تقريظه والثناء العريض عليـه بالعبارات الطنانة والالفاظ الرنانة واذا قارنا نقد المويلحي بما كتبته مجلة « الموسوعات » في نفس الفترة حيث قالت في ٣١ مارس ١٩٠٠ : « افتتح امير البلاغة وملك البيان شوقياته بمقدمة ضافية تبلغ ٢٤ صحيفة جمعت الى رقة الاسلوب جزالة المعنى ، وسمو المدارك وصدق الحس ، ودقـة الذوق ، ابان فيها عن مذاهب بعض الشعراء في الغابر والحاضر ، وعن ملكتي النظم والنثر تجتمعان اولا ثم تخلص الى ذكر نسبه الشريف ... » لعرفنا ان المويلحي يحاول الدراسة والبحث والتنـاول الموضوعي . امـا مقـال « الموسوعات » فهو انشاء القصد منه الاعلان والدعاية .

وقد اهتم الادباء والنقاد بمقالات المويلحي وتناولوها بالنظر والدراسة ، وقـد ساق الاستاذ العقاد في كتابه « رجال عرفتهم » رأيا في الاسباب التي دعت محمد المويلحي الى نقد شوقي فقال : « ويقول المطلعون على احوال القصر ان المويلحيين(٢) اوشكا في وقت مـن الاوقات ان يبلغا مطلبهما من الامير وهو مركز شاعر الامير للمويلحي الكبير ومهمته الدفاع عن سياسته للمويلحي الصغير » « وربما كان طموح الوالد الى هذه الوظيفة سببا من اسباب نقد ابنه لشعر شوقي وقوله على الخصوص انه لـم يكن يحسن الحديث عن الملوك والامراء ولولا ذلك لما تحدث عن اسماعيل وهو يقول عنه انه « الخديو المشار اليه » ... ولا تحدث عن توفيق فقال « ثم مد الي العزيز يده فقبلتها واجما ... » ولا ذكر انه كان يركب حمارا ابيض وهو يذهب للقاء الامير ولا اكثر في مقدمته من الزهو والسهو والحشو كما قال ولا شبه العزيز بعمر بن الخطاب فقال وهو يصف حفلة البال :

فهـو بينهم عمـر والوفـود تنتدب(٣)

وانما عمر بن ابي ربيعة هـو الاجدر « بمجلس الطرب والعزف ، والرقص والقصف والقدود والخدود ، والصدور والنهود ، والنحور والعقود ... » الى ان يقول « فقد كان هذا النقد كما هو ظاهر ـ اقرب الى نقد « لياقة النديم » منه الى نقد بلاغة الشاعر وعند لياقة النديم تنتهي منافسة

(٢) ـ يعني ابراهيم المويلحي وابنه محمد المويلحي .

(٣) ـ سقط هذا البيت من ديوان شوقي في طبعته الثانية مما يدل على تاثير نقد المويلحي .

المنافسين للاديب الظريف والسمير الممتع ابيه ابراهيم » .

ومصادر العقاد في هذا الراي او في هذه الحكاية هي اقوال المطلعين على احوال القصر ولم يقل لنا من هؤلاء المطلعون ، فهو قد سمع مع السامعين وبحث في نقد المويلحي عما يتماشى مع وجهة النظر هذه ، ولا يفوتنا ان العقاد كان قريب عهد من هذه الاحداث ، الى جانب انه كان يعمل مع محمد المويلحي في ديوان الاوقاف ، واننا عندما نتأمل نقد المويلحي لشوقي ليس في وسعنا نفي ما رواه العقاد ولكن ما يمكن قوله ان في نقد المويلحي لشوقي انتقادات لغوية وبلاغية واستحسانا لبعض شعره ، مما يدعونا الى القول ان المويلحي تجاوز نقد « لياقة النديم » كما اسماها العقاد ومع ذلك فلم يتحقق شيء مما تطلع اليه المويلحيان فقد ظل احمد شوقي في مركز شاعر الامير وبقي الشيخ علي يوسف في منصب المدافع عن سياسة الخديو في جريدة « المؤيد » .

كما اشار الدكتور شوقي ضيف الى هذا النقد في كتابه « شوقي شاعر العصر الحديث » حيث قال : « وهب محمد المويلحي في صحيفة « مصباح الشرق » يكتب مقالات متفرقة ينقد بها هذا الاتجاه الى التجديد عند شوقي وتجنى عليه من غير وجه حق ، زاعما ان الشعر العربي ليس في حاجة الى تجديد ، ومنددا بعثرات لغوية وجدها عند شوقي وحاول ان يهدمه بها هدما » ثم قال « وروع شوقي لهذه الحملة المنكرة » . واذا كان لنا تعليق على هذا الكلام الذي فيه من الدفاع عن شوقي اكثر مما فيه من الانصاف للحقيقة فاننا نقول لو ان شوقيا كان مقتنعا بموقفه من ضرورة التجديد في الشعر لما ثناه نقد المويلحي عن ذلك ، وما هو قولنا في شاعر تروعه عدة صفحات في انتقاده فيتهدم ويتحطم ويرتد عن موقفه ، ويتخلى عن موقعه ، ويفرط في قضيته ، ونتساءل : هل التجديد في الشعر يبيح الخطأ في اللغة ؟ ان اي ناقد او ناظر فيما كتبه المويلحي لا يمكن ان يحكم على تصويباته اللغوية الا بصدق المقولة اذا ما اثتثنينا لفظا فما جناية المويلحي في هذا ؟ . وما كان على شوقي الا ان يتقن اللغة ويمضي في التجديد حتى لو كره الكارهون .

ولكن ما موقف شوقي من هذه المقالات المويلحية ؟ انه لم يذكر ان شوقيا باحثها بالراي ، او ناقشها بالفكر ، فشوقي كعادته لا يرد على ناقديه ، ولكنه يدفع بعض الاقلام للذب عنه ، والذود عن ادبه ، ومهاجمة من ينتقده ، وله في هذا اساليب معروفة ، ويقر بعض الدارسين للحركة الادبية في هذه الفترة ان انتقادات المويلحي كان لها اثرها في ادب شوقي وفي هذا يقول الشاعر محمد مصطفى الماحي « ... الا انه لا ينكر ما كان لهذا من اثر في ادب شوقي حين اضطر الى ملازمة الدراسات القديمة القويمة فكان لهذا اثره في تجديد الصياغة وتمتين الاسلوب من حيث سلامة التراكيب وقوة التدريب والاثراء من الالفاظ ووضعها في مكانها ، وحسن استعمالها فجمع هذا الى ما وعاه واستفاده من فنون الادب الغربية المنوعة حتى وصل الى ما وصل اليه من تقدم في النثر ومن رسوخ عظيم في الشعر » وهذا رد آخر على د. شوقي ضيف لان الواقع ان شوقيا افاد من هذه الانتقادات التي جعلته يهتم باللغة ويقوم لسانه في هذه الفترة المبكرة .

ومهما يكن من امر فان شوقي لم يغفر للمويلحي مقالاته هذه ، وعندما جاء « عام الكف » وهو الحادث الذي صفع فيه محمد المويلحي على خده بكف احد ابناء الذوات في حانة دراكتوس وتناول الشيخ علي يوسف هذه الواقعة وأوسع لهجاء المويلحي مطرحا في صحيفته « المؤيد » وساهم الشعراء بقصائدهم في وصف هذا الصفع تحت عنوان « عام الكف » . وقد وجد شوقي الفرصة سانحة ليرد الصاع صاعين فصاغ هجاء موجعا في شخص المويلحي تضمن مكاره القول ، ويؤكد انور الجندي في كتابه « الصحافة السياسية » ومحمد صبري السربوني في « الشوقيات المجهولة » ان شوقيا قد ساهم بشعره في هذه الحملة ليشفي صدره ، ويبرد قلبه ، ومن هذا الشعر الذي ينسب الى شوقي بعضه :

لك خد كانه قطعة الجلـ   ـمد ثقلا فمن تراه استخفه
كلفوا صافعا به وهو لا يد   ري لذا راح صافعا كفه

رأيت جمادات الثرى ونباته   وكل خسيس دب فوق اديم
فلم ار اهلا للمهانة والاذى   كصدغ لئيم الدهر وابن لئيم

صرت ارجو بان تكون المرجى   وبان يبدل الهجا لك مدحا
تلك كف قد اكتفت واكتفينا   فراينا ان نعقب الصفع صفحا

وفعلا صفح كلاهما عن الآخر وعندما حكمت لجنة الاغاني والالحان المويلحي في اختيار احسن الاناشيد القومية اختار نشيد شوقي .

وظلت العلاقة طيبة بين الرجلين بعد ذلك وعندما توفي محمد المويلحي في ١٠ مارس ١٩٣٠ رثاه شوقي بقصيدة جاء فيها :

علم للبيان وابن لواء   اخذ الشرق حقبة ابداعه
حسبه السحر من تراث ابيه   ان تولت قصوره وضياعه
انما السحر والبلاغة والابداع بيت كلاهما مصراعه

وعلى اي حال فقد باتت هذه الصفحات الادبية من نقد وشعر ضمن تراثنا الادبي الحديث ، يقبل عليها الدارسون فيتصفحونها ويتفحصونها ، فان كانت جيدة ، اقبلوا عليها ، وافادوا منها ، وان كانت فيها رداءة فعليهم تعيين العلة في القسم الرديء واستبانة ثغراته ، وتصويب اخطائه ومناقشة ما تخلله من فساد ، وذلك لتستقيم الامور ويستفيد القراء ، ولو لم يفعل النقاد ذلك فانه لن يكون لهم اثر في ادب ، ولا لادب اثر فيهم .

القاهرة   **احمد حسين الطماوي**

في متاهات الطريق

*

جلست ، وقد مضى عني صديقي … اراجع دفتر الماضي العتيق
وانبش ذكرياتي من ثراها … وان نعست هتفت بها افيقي
فلم ار غير احلام تلاشت … هباء في متاهات الطريق
وما طالعت فيه سوى بقايا … حكايات تلوب بلا بريق
هنا كانت مشاويري ... وكانت … لقاءاتي مع الرشا الرشيق
ترفرف بين رابية ونهر … ونؤنس وحشة الوادي السحيق
نسابق بعضنا عدوا وشدوا … ومن فج نطير الى مضيق
اذا عثرت اطوقها بزندي … لأنقذها من الخطر المحيق
وان ضحكت ضحكت ، وان تباكت … غصصت بدمعتي وبلعت ريقي
هنا ودعت — يوم نزحت — امي … هنا شهقت ، هنا اعلولى شهيقي
هنا كانت تؤرجحني وتلقي … على نداوة الغصن الوريق
فكم سهرت لكي اغفو قريرا … وكم جاعت فدى عيشي الرقيق
هنا دار الطفولة ، ما حفظنا … لغير عيونها الحب الحقيقي
بفوق ترابها الذهب المصفى … ويفضل ماؤها ازكى الرحيق
هنا حقلي يموج شذا ، وتزهو … حواشيه بزنبقه الانيق
عشقت ثراه منذ فتحت عيني … ولم ابرح له اوفى عشيق
هنا آثار مدرستي ، وكانت … تنافس هيبة القصر العريق
نحوم على ملاعبها ونهفو … اليها كالشقيق الى الشقيق
اذا اغتاظ المعلم من رفيق … حملنا كلنا هم الرفيق
هنا كانت تدور حروب عبس … ولي جولات عنترها اللبيق
اهاب ولا اهاب ويتقيني … دهاة الراي والرمي الدقيق
متى نفدت كرات الثلج عدنا … نشد روابط العهد الوثيق
فلا منصور او مكسور فينا … ولا جمع يجور على فريق

... وطال على دروب الامس سيري … وقلبي بين غاف او مفيق
الى ان غاص في الانوار ليلي … ومزق شمله ياس الفريق
فاغمضت الجفون على عياء … ورحت اغط في نوم عميق

مضى اندى العهود يدا ووجها … واقبل صاحب الوجه الصفيق
فهل نرجو — وقانا الله — منه … ومن غربانه غير النعيق
تجمل يا فؤاد ، فكل هم … الى فرج يصير ، وكل ضيق
صديقك من يعودك في الرزايا … وفي الافراح ما نفع الصديق

بوانس ايرس — الارجنتين

زكي قنصل

الدكتور زكي مبارك

بقلم الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

* * *

من سنتريس هـذه القرية النائمة في احضان النيل ، خـرج شاب مصري موهـوب ، وعبقرية خلدها كفاحها في صفحات التاريخ الادبي الحديث . وقد طالما مشى في دروبها وبين مروجها ، وقبس من روحها المشبوبة ، واساطيرها المسحورة ، كل اسرار عصاميته وعبقريته ، حتى اضحى كنزا من كنوز الادب ، ومفخرة لثقافة ولغة العرب .

وكم كان الدكتور زكـي مبارك يردد حبـه لقريته سنتريس ، وهيامه بها ، ووفاءه لها ، في كـل مقالاته وقصائده وكتبه ، حتى نالت المجد من اطرافه ، وبلغت من الشهرة ان امست تقرن بباريس . وكم كان الناس يقولون : لقد سافر ابن سنتريس د. زكي مبارك الـى باريس .

وها هوذا يحدثنا في مطلع كتابه « حب ابن ابي ربيعة وشعره » عن قريته الصغيرة ويصور هذه الطبيعة المجلوة الحالمة ، فيقول :

« في ضواحي سنتريس يحلـو السحر ، في ليالي القمر ، وعلى شاطىء النيل هناك ، حيث النجم والشجر ، والماء والزهر ، في تلك البقعة المشتبهة الازاهر ، المتشابكة الجـداول ، حيـث السواقي الشاديات ، والطيـور الصادحات ، وتحت تلـك الشجرة المعطفة الغصون ، المهدلة الشعور حيث اجلس هناك ، اقضي شطرا مـن الصيف ، وجزءا من الخريف ، بين خطاب اكتبه ، او جواب اقرؤه ، وحبيب اسامره او انيس اساهره ، وعهد احن اليه او عيش ابكي عليه ... » .

نحس ونحن نقرأ هذا الوصف الجميل لسنتريس ، اننا امام اديب امتزجت الطبيعة المصرية بقلبه وروحه ، واختلطت بدمه واعماق نفسه ، واسلمه حب طبيعة بلاده الى حب بلاده نفسها فكان هذا الحب هو المعلم الاكبر له في حياته ، والحب كان فلسفة زكي مبارك والدرس الاول له في هذه الحياة . وكان يقول :

« لقد ابتدأت حياتي الادبية بأناشيد الحب والجمال ، ولو خلاني الناس وشأني لعشت بلبلا وديعا لا يسمعون مني غير انغام الحنين . ولكن لؤم اللئام حولني الى اعصار عاصف » .

وكان يرى ان الحب اكبر زاد حيوي له . ويقول انه صير الكتابة عـن الحب فنا مـن فنون الادب العربي الحديث ، وعاش يجد في الحب اكبر سلوى وعضد له في كفاحه للاعاصير طيلـة حياته ، وشأنه في ذلـك شأن الرافعي ، الذي مال الى الحب العذري من حيث مال اديبنا الى الحب الحسي . ومن اجل هذه الفلسفة العاطفية الف الدكتور زكي مبارك في مطلع حياته كتابه « حب ابن ابي ربيعة وشعره » ، ثم كتب بعد ذلك « العشاق الثلاثة » ، و « ليلى المريضة في العراق » ، وظهر له بعد وفاته بربع قرن كتابه « مجنون سعاد » ...

لقـد علمه هذا الحب حب اللغة العربية والادب العربي ، حتى كان ادبه تمجيدا لكل ذلك ، وايمانا لا يتزعزع بمكانة الادب العربي بين الآداب العالمية . وبأن الثقافة العربية وحدها تكفي لتكوين الاديب .

ومن منطلق الحب كان هذا الايمان بالنفس ، الذي عبر عنه الدكتور زكي مبارك اصدق تعبير في كل ما كتب ونظم والف .

كان يفخر بأنه مصري وبأنه فلاح ، ويصرح بأن آثار الفأس والمحراث منقوشة على يديه وبأنه مستعد ان يهجر العلم والمدينة ويعود كما بدأ بين الفأس والمحراث وفي صحبة البقر والجمل .

عاش معتزا بالقرية والريف ، وبروحه المصريـه الاصيلة ، التي تندد بالحكام من اذناب الاستعمار ، حتى كان يقول للساسة الذين يمشون في ركاب المستعمرين :

قولوا الحق مرة واحدة ايها الناس ، واعترفوا ولو مرة واحدة بأنكم لا تستعينون بالاجانب الا لانكم تريدون ان تقبروا مواهب الاحرار في بلدكم .

وادب زكي مبارك لذلك صورة ناطقة بروحه المصرية العميقة المؤمنة بوطنه .

عاش حياته يندد بالحزبية ، ويقول : اني رجـل اعزل لا انحاز الى حزب من الاحزاب ، وليس لـي في الحكومة عم ولا خال .

ومن ايمانه بمصر آمن بالحرية ودافع عنها طيلـه حياته ، فكان احـد خطباء الثورة المصرية عام ١٩١٩ ، واعتقله المحتلون في ثكنات قصر النيل في اول يناير ١٩٢١ ، وابى ان يعطي تعهدا على نفسه بعدم الاشتغال بالسياسة ، وبلغ من شجاعته الفكرية ، وجرأته في الدفاع عن الرأي وعن الحرية ان نقـد خطاب العرش ، ونقـد رؤساء الوزارات ، وصارع كبار الوزراء ، وعاش حرا لا يخشى

حوله أحدا ، قويا لا يذل ولا يستسلم ابدا ، يعرف نفسه ، ويضعها في مكانها الصحيح وكأنـه قبس شعار سقراط الحكيم : « اعرف نفسك » هذا الشعار الذي طالما اوصى الحكيم تلاميذه ان يسجلوه على باب معبد وولف ، ومن اجل ذلك كان مبارك من اعرف الناس بنفسه ، فصورها في ادبه في وضوح شديد ، وصراحة اشد . واذا كان يرى هادئا كالنسيم يعبق كالورد فطالما كان ينطلق كالنهر ، ويعصف كالريح ، ويموج كالبحر .

لقد عاش في عصر العمالقة : لطفي السيد ، ومحمد حسين هيكل ، وطه حسين ، والعقاد وشكري ، والمازني واحمد امين ، ومصطفى صادق الرافعي ، وابي شادي والزيات ، وسواهم وكان من الممكن لولا أصالة عبقريته ان يمحي اسمه بينهم ، ويندثر ذكره في محيطهم . ولكنه ظل علما شامخا يقرن اسمه بأسمائهم ، ويسجل تاريخه بجوار تاريخهم ، ويخلد ادبه الى جانب ادبهم . لقد ألف عشرات الكتب ونظم مئات القصائد ، وكتب آلاف المقالات ، وعاش مناضلا يساجل اعلام عصره من العلماء والادباء من امثال : احمد زكي شيخ العروبة ، واحمد امين واحمد شاكر ، واحمد حسن الزيات وطه حسين ، ود. عبد الرازق السنهوري ، وامين الخولي ومصطفى صادق الرافعي وسواهم . وكان النصر دائمـا حليفه في معاركه القلمية الحافلة ...

كان زكي مبارك هدية القرية المصرية الى الازهر (ولد في اغسطس ١٨٩١) ثم هاجر الى القاهرة حيث عاش في اروقة الازهر عشر سنين (١٩٠٦ — ١٩١٦) ، وجلس في حلقاته ، وتتلمذ على علمائه من امثال : سيد بن علي المرصفي ، ومحمد حسنين العدوي ، وتأثر بأدب مصطفى لطفي المنفلوطي ، وسوى هؤلاء من اعلام الازهر وعلمائه .

ثم كان هدية الازهر الى الجامعة المصرية القديمة ، حيث عاش بين مدرجاتها ، وتحت ظلالها فنال منها ليسانس الآداب عام ١٩٢١ ، وتتلمذ على كبار اساتذتها ، من امثال الشيخ محمد المهدي والدكتور احمد ضيف ، وكان يقول لقد اسقطني طه حسين في امتحان الليسانس ثلاث مرات ، ثم نال منها الدكتوراه عام ١٩٢٤ برسالته عن الاخلاق عند الغزالي ، وبعد عام صار مدرسا في الجامعة المصرية .

ثم كان هدية سنتريس الى باريس والسوربون حيث سافر الى فرنسا عام ١٩٢٧ ، يطلب العلم في السوربون ، فنال دبلوم الدراسات العليا في الآداب من مدرسة اللغات الشرقية بالسوربون ، ونـال الدكتوراه في الآداب مـن السوربون بدرجة مشرف جدا في ٢٥ من ابريل عام ١٩٣١ برسالته عن النثر الفني في القرن الرابع ، ومن الطريف انه بدأ رسالته هذه بفصلين في نقض آراء استاذه ورئيس لجنة الامتحان وعميد المستشرقين الفرنسيين آنذاك المسيو مرسيه ، مما كان له اثر كبير في حياته ، وكرمه اساتذته في احد مدرجات السوربون ، ثم كرمته الجمعية المصرية في باريس .

وهكذا وجدنا مبارك يشق طريقه في الحياة بقوة ، ويأخذ نصيبه من المعرفة بالجد ويحل نفسه المحل اللائق بالصراع ويقول : ان الشجرة لا تحفظ الايدي التي تتعهدها بالري ، ولكنها تحفظ اليد القوية التي تأخذ خنجرا وتحفر اسم صاحبها على مساقيها ...

وعاد من باريس الـى القاهرة ، وكانت آراؤه في رسالته عن النثر الفني مخالفة تمام المخالفة لآراء الدكتور طه حسين .

فالدكتور طه يرى ان العصر الجاهلي لم يعرف النثر الفني ، والدكتور مبارك ينقض ذلك ويبين عكسه والدكتور طه يرى ان النثر الجاهلي ان هو الا اللغة الشعبية للعصر الجاهلي وانه كان ضعيفا ، والدكتور مبارك يرى انه كان مزدهرا وانه كان اللغة الفصحى للجاهليين .

وسوى ذلك من مخالفته لآراء الدكتور طه حسين وللمستشرقين ، حتى قال ماسينيون : « حين أقرأ للدكتور طه اقول هذه بضاعتنا ردت الينا وحين اقرأ للدكتور مبارك اشعر بأني اواجه شخصية جديدة » .

ومن ثم بدأت متاعب الدكتور مبارك في الجامعة وحين فصلت وزارة صدقي الدكتور طه حسين من عمادة كلية الآداب كان زكي مبارك يدافع عنه ، ولم يلبث ان عاد طه حسين الى الجامعة وفصل الدكتور زكي مبارك منها وشن عليه حربا شديدة وسئم مبارك هذا الصراع ، وعاش في وزارة التربية والتعليم او المعارف مفتشا للغة العربية في المدارس الاجنبية ورئيسا للغة العربية في مدرسة الليسيه فرانسيه . وتقدم للدكتوراه فأخذها من جامعة القاهرة عام ١٩٣٧ برسالته عن « التصوف الاسلامي » .

ولم يلبث زكي مبارك ان سافر الى بغداد عام ١٩٣٧ استاذا للادب العربي في دار المعلمين العالية حيث عاش هناك فترة صغيرة كانت حافلة بكل ألوان النشاط والحيوية والانتاج وكان يلقي كذلك على طلاب كلية الحقوق في بغداد محاضرات في الادب وقـد كان موضوع هذه المحاضرات « عبقرية الشريف الرضي » ومن بغداد كان يرسل الى مجلة الرسالة مقالاته الذائعة عن « ليلى المريضة في العراق » وفي آخر عام ١٩٣٩ عاد الدكتور زكي مبارك الى وطنه من جديد ، حيث كان يكتب مقالاته الادبية في مختلف الصحف والمجلات في العالم العربي ، ومنحته حكومة العراق عام ١٩٤٠ وسام الرافدين .

واعترت الدكتور زكي مبارك سحابة من التشاؤم والقلق والحيرة فبعد ان كان يقول :

الضحية

أكذا جمالك يا «ندى» يذوي وقد حرم الندى
صرت الضحية بعدما كنت الغزال الاغيدا
هزم الدجى وضح النهار فصار ليلا أربدا
أيضم زنبقة الحمى شيخ وتطحي الاسردا
ويكون منه جزاؤها مضض الحياة مؤبدا
ومحوك نسج قميصها ما لا يطاق ويرتدى
أغروك بالمال الذي عرضوا ، فكنت له فدا
ما المال نلت بما حبو ك خديعة وتوددا
كلا ولا تخذت جفونك من هناء أثمدا
جرعت من حرق الجوى كأس المذلة سرمدا
والصدر اضحى ضيقا والشوك أمسى مرقدا
هل كان عقلك تائها بين الضلالة والهدى
واها لعقل حائر ضل الصواب وما اهتدى
ولقد دفنت على الثرى من قبل أن يرد الردى
اسفي على الغصن الرطيب لقد نوى وتاودا
وعلى الزنابق بعدما كانت تزين المسجدا
قلبي أصيب كما أصبت ومدمعي كان الصدى
لو صنت سحر جمالك الا فتان من طمع العدى
ما ناب خطب أو غدا طرف عليك مسهدا
والشمس ما غابت ولا حجب الصفيح الفرقدا
ولكنت أنس مجالس والى العشير المسعدا

بكاسين — لبنان

جرجي نصر

فقولوا لمن دابه ان يرى من العيش جانبه الاسودا
اذا تعب البوم في روضة فكم بلبل فوقها غردا

اخذ ينظر الى الحياة بمنظار اسود ويرى ان الناس لا يعرفون معنى الوفاء ويردد قوله « اخشى الا اظفر بكلمة رثاء يوم يشيعني الناس الى قبري فهم لا يذكرون الا من يؤذيهم اما الذي يخدمهم فلا يذكره احد منهم بالخير » .

وعاش بعد الحرب العالمية الثانية بقية حياته مع مقالاته وكتبه ونفسه والضباب الاسود الذي يخيم على الحياة في مرأى عينيه وانتهى فيض هذه العبقرية الرائعة وانقطع معين هذا الفكر المصري الجياش وتسلى بحبه واحبابه وبشعره الكلاسيكي الوجداني الذي يشع منه ذكاء خارق وعاطفة مشبوبة ، ويتسم بالحيوية والقوة والموسيقى الجميلة وانتهى الامر بوفاة الدكتور زكي مبارك في يوم الاربعاء الخامس والعشرين من ربيع الثاني عام ١٣٨١ هـ الثالث والعشرين من يناير عام ١٩٥٢ بعد ان ترك ذكرا خالدا وتراثا عظيما من العبقرية يتمثل لنا في كتبه التي اشرنا اليها آنفا ومنها ذكريات باريس ومن وحي بغداد ومدامع العشاق والموازنة بين الشعراء وسواها وحقق الرسالة العذراء لابن المدبر وزهر الآداب للحصري وقام بأروع الاعمال الادبية والثقافية طيلة حياته حتى عد احد الرواد في العصر الحديث وأحد سدنة الادب المصري المعاصر .

القاهرة

محمد عبد المنعم خفاجي

راقصة آه يا زين

لحن آه يا زين ، من نغم البيات ، وهو معروف ومشهور عند عشاق الرقص العربي والغناء العربي ، وكثيرا ما كان يرقص على نغماته

*

طلعت كنجم ثاقب يتوقد ... والليل بحر صاخب يتمرد
مالت كغصن أراكة ، عبثت به ... ريح فمال ، وما ونى يتاود
في كل جارحة لها ما يأتلي ... ثغر يزغرد باسما ويعربد
والصدر يلهث مشرئبا من جوى ... بضراعة وكأنه يتنهد
أو أنه فرخ لوى بجناحه ... حذر الاذى من قاسط لا يقصد

يطوي وينشر ضاربا بقوادم ... حيران ، لا يدري بمن يستنجد
أو موجة محمومة قذفت بها ... من زاخر ، ريح زبون ترعد
ضربت محلقة الجناح ولم تزل ... تعلو وتهبط والدجى تتوعد

رقصت كما أملت سمادير الرؤى ... وأتت بكل عجيبة لا تجحد
صور من الاغراء ، ليست تنتهي ... وشواهد للحسن ليست تنفد
وبكل جارحة تعرت فتنة ... كانت على كر المدى تتجدد
ما كنت تدري والجوارح بالجوى ... عصفت ، أبركان بها يتوقد

تتضرم الشهوات ملء أضالع ... محمومة لا تستقر وتخمد
شعل الجوى مشبوبة بمشاعل ... من جاحم أطباقه تتلبد
فتخلجت أعضاؤها حذر اللظى ... وتذاءبت من رعشة تتجلد
وبكل أنملة يرفرف جانح ... بقوادم لا تستكين وتخلد

مدت يدي متضرع متلهف ... وكأنها من منعم تسترفد
تجد اليدين وكل نبض فيهما ... ما انفك يهزج هاتفا ويزغرد
أطرافها توحي بقول محكم ... ما فيه ، ثم ركاكة وتبلد
نطقت ولم تفغر فما لمسائل ... وأصابت الغرض الذي تتصيد
أطرافها توحي ، وتحسب أنها ... كانت توشوش خلسة ، أو تنشد
لا تأتلي يمنى لها مرفوعة ... في حالق لنوازع تتعدد
راحت تحركها كقدر قلامة ... هونا ، وتعطفها كمن يتودد
ويسارها ، كانت تدف على هوى ... وتغور حينا ما انثنت أو تنجد

حركاتها فيض الاشعة في الدجى ... دون الجداول ما مشت تتمدد
أو كالنسائم في الرياض تذاءبت ... خطراتها وتمايلت تتأود
حركاتها شدو ورنة مزهر ... من خاشع في حلبة يتوجد
خلعت غلالتها ، فهبت فتنة ... من عريها ، ترمي القلوب وتقصد
الفتنة الحمراء تنفث باللظى ... عن جاحم نيرانه لا تخمد
طلعت بأعلام لها منشورة ... وبموكب بمواكب يستطرد
وبجفنها ليل دجت أطباقه ... حار الدليل به وضاق المرشد
ليل يروع قتامه من رهبة ... والسحر منعقد به لا ينفد

دمشق

عدنان مردم بك

السيد قطب من خلال شعره

بقلم الدكتور محمود الشهابي

* * *

يعرف الاستاذ المرحوم « سيد قطب » لدى الكثيرين بفكره الاسلامي ، وهو في هذا الميدان يعد من اشهر الكتاب الاسلاميين في العصر الحديث . كما انه قد برع ايضا في مجال النقد الادبي ، ولـه في هذا الميدان مؤلفات تتميز بسلاسة الاسولب ، والدقة في اصدار الاحكام ، كما انها تدل على ما لصاحبها من سعة الافق ، وغزارة المعلومات ، والاطلاع علـى آداب بعض اللغات الاخرى ، والالمام بقضايا النقد الادبي المعاصر .

ومما لا يكاد يذكر الآن ان « سيد قطب » شاعر ، بالرغم من ان ذلك اول ما اشتهر به : ـ فلقد نضجت شاعريته في وقت مبكر ، وقبل ان يخرج الى الوجود كتاب له ، كانت الصحف والمجلات الادبية تفسح المجال لشعره . وهو اذا كان لا يعد من الشعراء الموهوبين ، او الذين عرفوا بالشاعرية وتميزوا بها ، فشعره مفعم بالصدق لا اثر فيه للتكلف او الصنعة : ـ ومن هنا تكون له اهمية عظمى في الدلالة على صاحبه ، فهو يلقي كثيرا من الضوء على شخصيته ، ومـن خلاله نستطيع ان نلمح بعض السمات الخاصة التي تميزه ، وان نرى مـا بنفسه من اتجاهات واهواء .

ولقد ظهرت مجموعته الشعرية بعنوان « الشاطىء المجهول » في عام ألف وتسعمائة واربعة وثلاثين ، وعمره آنذاك قرابة الخامسة والعشرين . وهذا الديوان الصغير ، والقصائد التي نشرت متناثرة بعد ذلك ، صورة لما في نفس « سيد قطب » من قلق وحيرة امام الكون بما فيه من اسرار والغاز ، وما يكتنفه من غموض وابهام . هذا القلق قد صبغ نفسيته بالوحشة ، وتلـك الحيرة غمرت روحـه بالكآبة ، فهو بعد العشرين بقليل ـ في ذلك العمر الذي تقهر فيـه حرارة الشباب كل الآلام ، وتحيل المجدب في الوجود الى واحة منعشة فحينما ينظم قصيدة من الشعر الرمزي يجري فيها حوارا بين نخلتين قد سئمتا الحياة . تسأل الصغرى عن سر الوجود :

مـا لنـا في ذلك القفر هنـا مـا برحنا منذ حين شاخصات
كـل شيء صامت مـن حولنا وأرانا نحـن ايضـا صامتات
تطلـع الشمس علينـا وتغيـب
ويطـل الليـل كالشيخ الكئيب
والنجوم الزهـر تغـدو وتؤوب
وهجيـر واصيل وطلوع وأفـول ثـم نبقـى مـن ذهـول صامتات

ومن الواضح انه يرمز بذلك الى شعوره تجاه قصة الخلق ـ كما صرح في مقدمة الديوان . الوجود الزاخر بالحياة عنـده لا يخرج عـن كونه : (هجير واصيل) (طلوع وافول) امور تحير الفكر ، وتضني العقل ، فيتبلد احساس البشر ، ويسيطر عليهم الذهول ـ على حـد تعبيره . كما انه لا يرى في الظواهر الكونية الا الجانب القاتم المعتم . فليس في الشمس ضياء او بهجة ، ولا حرارة ولا دفء ، وهي لا تزيد عن كونها تطلع وتغيب . والليل ! ليس له سر او سحر او سكون ، ولا يحس نحوه برهبة او خشوع ، وانما هو (كالشيخ الكئيب) ! وكأن القمر لم يزدهر في سمائه موحيا اليه كما يوحي الى الشعراء . والنجوم التي وصفها (بالزهر) هي فقط (تغدو وتؤوب) . والوجود عنده نقمة لما فيه من الآلام والمشقات ، مما جعل التساؤل يجري على لسان النخلة الصغرى ، عن الذنب الذي اقترفته البشرية حتى كتبت عليها الحياة :

افـلا تدرين يـا أختي الكبيرة مـا الذي أطلعنا بـين اليباب
ايمـا اثـم جنينـا أو جريرة سلكتنـا في تجاويـف العـذاب
قد سئمت اللبث في هذا المكان
لبثة المصلوب في صلب الزمان
أفمـا آن لتبديـل أوان
حدثيني لـم نشقى حدثيني كـم سنلقى حدثيني كم سنبقى واقفات

ثم يكون جواب النخلة الكبرى التي لها حصيلة من التجارب والفهم والحكمة : جواب العاجز عن ادراك السر ، الذي لا يعرف سببا وراء هذا الشقاء ، ولا يرى مبررا له :

أنا يا أختاه لا أدري الجواب ودفـين السر لـم يكشف لنـا
منذ ما أطلعت في هذا الخراب وأنـا اسال مـا شاني هنـا
فيجيب الصمت حولـي والسكون
وأنـا اخبـط في وادي الظنون
لست أدري حكمة الدهر الضنين
غـير أنـا حائرات والليالي العابثات تتجنـى ساخرات لاهيـات

وتمضي القصيدة على هذا النحو حافلة بعبارات توحي الهموم والاحزان : (كالقفر المشؤوم) و (غول المنون) و (الطيف الحزين) . وليس من السهل تفسير تلك الكآبة الموحشة في نفسية « سيد قطب » : هل نتجت من بعض الاحداث القاسية التي مر بها في طفولته ، سواء الذي اصابه شخصيا ، او الذي مني به مجتمع قريته ـ كما ذكر في كتابه « طفل من القرية » قد يكون ! . فهو لا يفتأ في هذا الكتاب يردد طغيان تلك المشاعر عليه في رجولته : اذ لا يزال يشعر بالرهبة من ذكر الاشباح لكثرة ما داعبت خياله وهو طفل ، وكلما مر ببيت « حرحور » ذلك الشقي الذي كان يؤذي الناس ينتابه الانقباض ، وصديقه « جمعة » الذي توفي وهو دون العاشرة ومشى في جنازته يحس دائما الاسى واللوعة لفقده .

وبالرغم من ان هذه الحدثان ليست مما لا يطاق تحمله ، الا انها قد تكون ذات تأثير خاص على وجدان

مرهف كوجدان « سيد قطب » الذي كان يرى نفسه في غربة بين اهله وخلانه ، حيث يعيش بعيدا عنهم في عالم القلب والوجدان .

غريب أجل أنا في غربة ... وان حف بي الصحب والاقربون
غريب بنفسي وما تنطوي ... عليه حنايا فؤادي الحنون
غريب وان كان لما يزل ... ببعض القلوب لقلبي حنين
ولكنها داخلتها الظنون ... وجاور فيها الشكوك اليقين
غريب فواحاجتي للمعين ... ووالهف نفسي للمخلصين

على ان هذا الذي ذهبنا اليه ـ من ان الحزن كامن في اعماقه ، وليس من السهل الوصول الى اسبابه ، قد جرى على لسانه شعرا :

انا لا ابكي على ماض ذهب ... لا ولا مستقبل ضاع هباء
انما في النفس معنى مضطرب ... لم اجد رمزا له غير البكاء

ويتأمل شاعرنا « سيد قطب » ذاته ، ويجول في اعماقه محاولا ادراك هذه الكآبة ، ثم يستحث وجدانه للحاق بركب الحياة ، والاستمتاع بمباهجها ، فيرى نفسه تأبى ذلك ولا تريد . وهنا تنقسم مشاعره الى اتجاهين متضادين ، ثم يسجل تجربته شعرا قصيدة بعنوان « في مفترق الطرق » يستهلها بمقدمة نثرية مفادها : ان نفسين من النفوس الكثيرة التي تعيش في الانسان الواحد تتحاوران احداهما ترغب في الانطلاق فتنادي :

يا رفيق الحياة اسمى واغلى ... أن تقضي كذاك وهما ضئيلا
يا رفيق الحياة اقصر عهدا ... أن تضحي ساعاتها تخييلا
أب من الظلمة الحبيبة واهجر ... كل ما كان في الحياة الاولى
وتطلع الى جمال جديد ... أفلم تلق في الحياة جميلا
عش بما قد وهبته من حياة ... مستثار الاحساس نهما عجولا

غير ان النفس الثانية تألف العزلة وتهوى الظلام ، وتستعذب الآلام فتجيب :

آه يا صاحبي اتجهل أني ... افقد الدار ان فقدت الطلولا
ذاك عهد انفقت فيه رصيدي ... كله لم أبق منه قليلا
اتراني اجدد الذخر والعمر ... مول والجهد امسى هزيلا
انا باق هنا فان شئت دعني ... ورد الكون حافلا ماهولا
انا باق هنا ارود طلولي ... لم اعد بعد استطيب القفولا

هكذا ينتهي الحوار موحيا بترجيح جواب هذه النفس ، وكأنه يستريح لانتصارها على الاخرى ، ويرى ان الخروج على طابع حياته والتمرد على تلك الآلام ، ضرب من العبث لا طائل تحته ، ولا جدوى من ورائه .

ويدور معظم شعر « سيد قطب » حول القضايا الكونية العامة ، ومشكلات البشر وهذا يتفق مع مفاهيمه باعتباره (ناقدا) : ففي كتابه « النقد الادبي » يفضل « ابا العلاء » على « المتنبي » لكون الاول يهتم بآلام الانسانية وآلامها ، بينما الآخر لا يرى الا ذاته ، واكثر اشعاره تدور حول نفسه . وهو لا يرى بأسا على الشاعر من ان ينساق مع احاسيسه الخاصة على الا يشغله هذا عن الهدف الاسمى : وهو التجاوب اولا مع مشكلات الناس ، وقضايا المجتمع .

ولهذا افاض « سيد قطب » في الحديث عن النظرات الفلسفية العامة ، ولم يطرق الموضوعات الخاصة كالوطنيات ، والاخوانيات ، والرثاء الا قليلا ، فهو لم يكثر من انشاء هذا اللون من القصائد ، كما ان هذا القليل لم يصل في اجادته الى مستوى التيار الآخر . ولعاطفة الحب من شعر « سيد قطب » نصيب ملحوظ ، في بعض هذه القصائد تلوح العاطفة ممزوجة بالوقار :

احبك اذ ترجين مني رعاية ... وتهوين ساعات الحياة بجانبي
هنالك نسمو بالحياة فنرتقي ... الى كنف بين السموات ضارب
هنالك نحيا والاماني حولنا ... تغرد الحان المنى والرغائب

وفي بعض قصائده العاطفية تسري روح الامل ، والرغبة في الاستمتاع بالحياة :

الي الي ولا تجفلي ... فاني ظمئت لما تظمئين
واحسبني كنت اهفو اليك ... كما كنت لي في المنى ترقبين
وشطت بنا ندوات اللقاء ... وضلت بنا خطوات السنين
الى ان لقيتك فتانة ... فحركت مني اشتياقي الدفين
تعالي نرو ظماء السنين ... تعالي نعش للمنى والفتون

وقد يتجاوز حدود الوقار الى عربدة الشباب ، ونزق الصبا :

يخفق القلبان بل تهفو الشفاه ... منذ أن ضمتك في شوق يداه
منذ أن رن صداها قبلة ... نهلت منه وعلت شفتاه
وارتوت روحاكما بل ظمئت ... برحيق القبلات المشتهاة
بل رحيق الخلد قد طاب جناه ... وسرى فيه حلاه وشذاه

يخفق القلبان بل تهفو الشفاه ... كلما بشر بالحب الهداه
كلما نادى المنادي حي هلا ... يقطف المحروم ما طاب جناه
ما لمحرومين لم يستمعا ... ذلك الصوت الذي دوى صداه
ايه هيا فلنجب داعي الشفاه ... فهو داعي الحب او داعي الحياه

على ان الحيرة التي هي ديدنه لم تفارقه في تجاربه العاطفية :

أقلاك أقلاك كالشيطان اقلاك ... أقلاك كالسم يسري جد فتاك
أقلاك انك في نفسي وفي زمني ... وفي حياتي افعى ذات أشواك

أقلاك ؟ ليت فاني لست أقلاك ... أهواك ؟ ليت فاني لست أهواك
أهوى وأقلى وايامي موزعة ... بين الهوى والقلى كالضاحك الباكي
هذا الرحيق وهذا السم قد مزجا ... ولست أروى بكاس غير رياك
هاتي لي السم صرفا لا يمازجه ... هذا الرحيق فاني لست بالشاكي
مللت كاسك لا التذ نشوتها ... ولا احطمها تحطيم سفاك

وهكذا لا نكاد نرى « سيد قطب » في شعره الا ثائرا قلقا تموج نفسه بالحيرة والاضطراب ، يضطرم عقله بتساؤلات شتى عن الكون والحياة لا يجد لها جوابا شافيا فيهرع الى المقابر يستلهمها الجواب ، ويتخيل ان اشباح الموتى تطل عليه غاضبة لجرأته على اقتحام هذا العالم ، مستفسرة عن سر مجيئه فيجيب :

الفاتح البطل

المهاجر العربي الاول الى البرازيل

يا من هجرت وكنت الفاتح الباني	لقد كشفت لنـــا عن موطن ثان
وكنت اول مــن اقدامه وطئـت	ارض البرازيل من ابناء قحطان
مـــا انت الا جسور في رسالته	ما انت الا عظيم القدر والشان
رمــز الشجاعة والاقدام مندفعا	الـى الجديد بعزم مثـل صوان
حتى بلغت مــن الدنيا مجاهلها	وكـان عزمـك مقرونا بايمـان
اليـوم عيدك والاحداث شاهدة	والفضل فضلك ما كر الجديدان
صعدت كالنسر في الآفاق منطلقا	من موطن الارز من جنات رضوان
وكر النسور الذي افراخه انتشرت	انوار علـم على خلق وبلدان
فكنت رمـزا وامجادا لامتنـا	وكنت فخــرا لسكان واوطان
واليوم نكـرم مقداما بهجرتـه	فـذا تمتطق في حزم ووجدان
منارة عنـد شـط البحر قائمة	تهدي السبيل الى ارض وشطآن

سان باولو ــ البرازيل   فيليب لطف‌الله

هو الشاعر الملهوف للحق والهدى	وللسر لـم يكشفه ضوء لناظر
تحير في سر الحياة وما اهتدى	اليه ولـم يقنع بتلك الظواهر
وساءل عنه الكون والكون حائر	يسـير كمعصوب بايدي المقادر
وساءل عنه الموت والموت سادر	وساءل عنه الشعر من حنق ثائر
وساءل عنه كل شيء فلم يفز	بشيء ولـم يرجع بصفقة ظافر

ثم يختم القصيدة بتمني الموت لعجزه عن ادراك السر :

ويا ليت هذا الموت يسرع خطوه	فيطوي حيـا عمره ربح خاسر

غير ان الموت عنده ليس سوى بداية المعرفة واول الادراك، فهو يتوق اليه رغبة في كشف الاستار ، وشوقا لفهم هذه المعميات :

ولـولا مواثيق الحيـاة تشده	اليها لامضى عزمه وهو صابر
وخلف هذا الجسم للموت والبلى	. واشرق روحا حيث تصفو البصائر

فهيـا اذن للموت أروح رحلة	لتكشف أستـار ويهـدأ ثائـر

الموت ! ذلك الفناء الرهيب اروح رحلة عند شاعرنا فهو عالم الحقائق حيث الحياة زيف واباطيل ، وهو لا يفتأ برما بهذا العالم الى ان يتركه . وهنـا يهدأ « سيد قطب » ويتلاشى روعه ، وتغمر كيانه السعادة ويغشاه الهناء والاطمئنان لوصوله الى « الشاطيء المجهول » . ومـا الشاطيء المجهول هـذا ــ الذي سمى بـه مجموعته الشعرية ــ ؟ انه عالم الروح حيث تموت حواس الجسد التي تعوق الجمال الروحي عن الانطلاق :

الى الشاطيء المجهول والعالم الذي	حننت لمرآه الى الضفة الاخرى
الىحيث (لا تدري) الىحيث (لا ترى)	معالـم للازمان والكون تستقرا

الى ان يقول :

خلعت قيـودي وانطلقت محلقا	وبي نشوة الجبار يستلهم الظفرا
أهوم في هـذا الخلود وارتقي	واسلك في مرآه كالطيف اذ أسرى
واكشف فيـه عالما بعـد عالم	عجائب مـا زالت ممنعة بكـرا
لقد حجب العقل الذي نستشيره	حقائق جلت عن حقائقنا الصغرى
هنا عالم الارواح فلنخلع الحجا	فنغنم فيه الحب والخلد والسحرا

ومما لا يفوتنا ذكره ان في شعر « سيد قطب » شيئا من التفاؤل والامل ، وبه بعض الاحاسيس التي تجنح الى الهدوء والاستقرار ، وكلها صور لما يعتري النفس التي كانت في معظم الاحايين تموج بالانفعالات القوية الثائرة ، تلك النفس التي لم تجد الامن والاطمئنان الا في عالم الروح. واعتقد ان هذا كان سببا في هجرانه عالم الادب ــ حيث بدأ حياته اديبا ــ واقباله على الدراسات الدينية .

تلك نظرة يسيرة الى شخصية « سيد قطب » من خلال شعره ، اما شعره فلنا معه جولة اخرى .

لندن   **محمود الشهابي**

حسان الكاتب

صاحب الموسوعة الموجزة

بقلم عجاج نويهض

* * *

اعتقد ان هناك ، من جهتي ، قضيتين : قصة الاستاذ حسان بدر الدين الكاتب ، من حيث ما رزقه الله من موهبة مقدرة واستعداد غزير بالفطرة ليكون ، قياسا على منهاجه المحكم الموفق منذ سنة ١٩٧٠ ، من اهل التأليف الموسوعي في النصف الثاني من القرن العشرين وما باق منه الا ٢٢ سنة ، ثم يطرد ان شاء الله عمله بعد ذلك الى ما شاء الله ، واعني بالتأليف الموسوعي سعة آفاقه في المعارف وكثرة مؤلفاته . وهذا لا يقع الا لآحاد من الناس .

والقصة الاخرى تتعلق بمؤلفه المعروف وهو « الموسوعة الموجزة » ، ولعل كثيرين من القراء الكرام استطاعوا ان يعرفوا معرفة مختلفة ، وافية او محدودة ، من الاثنين ، اكثر مما استطعت ان اعرف ، وذلك كله عن طريق مجلة « الاديب » التي ندعو لها ابدا ان تكون وارية الزناد ، مثبتة الاوتاد ، لخدمة اهل الضاد والضاد .

واول ما استفدته بشأن « الموسوعة الموجزة » هو ما نشره شاعرنا الامامي جورج صيدح بشأنها مقرظا تقريظا ممتازا ، في عدد سابق من « الاديب » ، ورغب الى الاستاذ حسان مؤلف الموسوعة ان ينشر ترجمته في الموسوعة نفسها ليطلع الناس على ذلك ، وزيادة المعرفة توسع الرواق والآفاق . فازددت شوقا الى ان استزيد من الاستقاء من هذا المعين .

في ٧٨/١/٢٥ تلقيت في البريد هدية من الاستاذ حسان وهي جزء (ح) وجزء (د) من هذه الموسوعة التي طالما صرت اسمع بها كثيرا والالتفات اليها من هنا وهناك . فقضيت ليلة كاملة في هداة الليل البهيم ، وانا اتصفحها ويجتذبني بعض موادها . فلما احطت بها قدر الامكان ، اكبرت محاسنها ، واول ذلك انها مشروع فردي ينهض به الاستاذ حسان وحده ، ولم يسبق وقوع تعارف بيننا من قبل . فكان علي ان اشكره على هديته شكرين مزدوجين : شكر الاهداء وشكر السبق بالفضل المتقدم . فكتبت اليه : ولكن اغتنمت الفرصة لأسأله كيف جاء اسم اسرته الكريمة المنتهي « بالكاتب » . واعترف انه كان جال في فكري ان لعل الاستاذ حسان شاء لطموح ادبي في نفسه ان يتخذ اسما جديدا فاختار « الكاتب » تيمنا بعبد الحميد الكاتب ، كاتب مروان آخر بني امية في دمشق . وعندي ان الاسم كله من حسان وعبد الحميد والكاتب ، لاح لي كأنه يوحي بذلك ، وفيه الملاحة واللطافة .

ومرتين في مدى الاربعين سنة الاخيرة وجدت نفسي مغلق الذهن امام غموض في الاسماء العلمية (بفتح العين واللام) وما استطعت فك الغامض الا بعد ان يسر الله المفتاح . المرة الاولى لما صرت اسمع بكاتب معبقر القلم والذهن اسمه « وديع فلسطين » ، فبقيت مدة طويلة وظني ان هذا « الوديع الفلسطيني » ما دعاه الى الانتساب الى فلسطين (وهذا وقت الانتداب) سوى تعلقه بقضيتها . ولما شاء الله ان يذهب بالغشاوة عن ذهني ويرتفع الغطاء ، فاذا به هو ذلك « العلامة وديع فلسطين » الموهوب الالمعية وكنوز الادب العالي الطراز والرتبة في عالم العروبة . ثم كتب لي من نحو من عشر سنوات ان يرزقني الله صداقته ، ومذ ذاك ، نحن روحان حللنا بدنا . والمرة الثانية هذه هي الآن مع الاستاذ حسان الكاتب . ولا ادري متى تكون الثالثة .

نحن من المكبرين لعزائم الاستاذ حسان ، وعزائمه هذه قد اتت بالعظائم في التأليف الموسوعي ، وهو في ١٩٧٨/٤/٢٩ يدخل في الرابعة والاربعين من عمره الموشح بالخيرات والبركات ، زاده الله توفيقا . ونشكره على نشره ترجمته في جزء حرف (الخاء) . فلما وردني جوابه ، ومن الاطلاع على جزئي (خ) و (د) بان كل شيء .

اما بشأن مأتى اسم « الكاتب » في رأس العائلة فقد قال :

« واما اصل التسمية ، فهي كما رواها لي والدي عن جدي المرحوم المقدم (رتبة عسكرية) احمد جودة الكاتب ، ان جدي ابراهيم قدم من مصر مع ابراهيم باشا عام ١٨٣٢ حين قدم الى سورية ، وكان جدي رئيس ديوانه ، وحين عاد ابراهيم باشا (الى مصر) بقي جدي او بالاحرى جد جدي في سورية . فان والدي بدر الدين بن احمد جودة بن حسين بن ابراهيم الكاتب ، ذكر لي ذلك نقلا عن جدي كما ذكرت ، وكان جدي حسين « كاتب طابور » في الجيش العثماني ، ومن هنا جاءت نسبة « الكاتب » ، بينما شقيق جدي حسين كان يدعى « عزة افندي » ، وهو « قواص » عند الملك ، فسمي الشق الآخر من الاسرة (آل القواص) ، وهكذا فان اسرة آل القواص هي اسرة عم والدي » انتهى ما افادنيه الاستاذ حسان عن اصل تسمية « الكاتب » و « القواص » ، وله الشكر .

« الموسوعة الموجزة » بحجم ٢٤ x ١٧ سم حسنة الاخراج ، مستعمل في طباعتها نوعان من الحروف ، العادي والاسود ، وهي مصورة ، والصفحة مؤلفة من

الشك والايمان

اكان وهما يــرود القلب أحيانا
هــذا الغرام الذي ودعته الآنــا

من بعد ما علمتني كيف أعشقها
تلونت فــرأيت الشك ألوانــا

تمردت نزوات الشر في دمهــا
وأصبحت بعد طهر الامس شيطانا

فهل ألام اذا لم ارض عاطفتي ؟
وأدتها .. وجعلت الشك ايمانا

الاسكندرية

عبد العليم القباني

عمودين ، وظاهر عليها الاتقان والعناية في الترتيب وسرد المعلومات . وكل حرف مــن الحروف الهجائية الثمانية والعشرين له جزء ، وعدد صفحات كل جزء يختلف عن الجزء الآخر ، لان ذلك تابع لمقدار المادة التي يحتويها . فجزء (خاء) مثلا صفحاته نحو ٨٤ وعدد مواده نحو من ٢٢٨ مادة . وجزء (دال) يحتوي على نحو ١٥٠ صفحة ونحو ٢٨٠ مادة . ورقم الصفحات متسلسل من جزء الى آخر ورقم آخر صفحة من حرف (دال) هو ٤٢٠ يعني ان هذا هو مجموع الاجزاء من (الف) الى آخر (دال) .

فلنأخذ ، مثلا ، مادة « دائرة المعارف » ، واول من استعمل هذا في العربية ترجمة لكلمة Encyclopaedia باللغات الاوروبية المعلم بطرس البستاني في الربع الاخير من القرن الماضي ، واول جزء ظهر من « دائرة المعارف » للمعلم بطرس ١٨٧٦ اي قبل قرن وبعض السنتين . فنرى « الموسوعة الموجزة » اوردت تحت مادة (دائرة المعارف ، او الموسوعة ، او المعلمة ، او الوسيعة) وكلها بمعنى ، وجاء تعدد هذه الاسماء انه بعد الحرب العالمية الاولى وابتداء العالم العربي في نهضته العلمية ، صار يــرى بعضهم ان اختيار كلمة واحدة اخف على الالسنة من اسم مؤلف من كلمتين « لدائرة المعارف » ، ومع هذا فالغالب راح يستعمل اسم الموسوعة ، بينما اسم « دائرة المعارف » بقي وله مستعملوه ايضا .

ثم تكلمت « الموسوعة الموجزة » عن هذا الباب تاريخيا كلاما عاما ذاكرة ظهور الموسوعات عنــد الامم الغربية المختلفة ، ثم انتقلت الى الموسوعة العربية بادئة « بدائرة المعارف » للبستاني المعلم بطرس واتت على ذكر ما ظهر من موسوعات عربية حتى اليوم . وشغل هذا نحو ٣ صفحات لا اكثر .

رزق الاستاذ حسان بدر الدين الكاتب هذه المواهب المؤهلة له للقيام برسالة ثقافية موسوعية في النصف الثاني من القرن العشرين . وهو ، امده الله بالمزيد ، له قدرة على الاستيعاب والاحاطة والنخل والتقصي . فلما امتلأ حوضه ، وازهــر روضه ، شرع في الانتاج ، منــوع الموضوعات المفضية الى الافق الموسوعي . ولم يبدأ في الكتابة قبل ١٩٧٠ .

وعلمنا من ترجمته ان اول جزء من « الموسوعة الموجزة » صدر بدمشق سنة ١٩٧١ وله الى الآن (٣٠) مؤلفا واكثر من (١٥٠) بحثا في المجلات العربية .

مؤلفاته قسمان : المطبوع ويشتمل على « دائرة معارف الكتب » في ٤ مجلدات تضم (١٦٠٠) صفحة ، والموسوعة الموجزة ستصل الى ٢٨ جزءا وتشغل نحو اربعة آلاف صفحة ، وانهى منها ١٩٧٦ حرف « الخاء » وله مــن الكتب المطبوعة « دراسات ثقافية » ١٩٧٥ « والعبادات في الاسلام » ١٩٧٦ .

اما المخطوط : فهو المؤلفات المحفوظة في « دار الكتب الوطنية » وجملة ذلك ٢١ مؤلفا ، وهذا جواب الاستاذ حسان بشأنها :

« ان مؤلفاتي المخطوطــة وضعتها في « المكتبة الظاهرية ــ دار الكتب الوطنية » لضخامتها ، وارتفاع كلفة طباعتها ، فهي تتراوح بين ٣٠٠ و ١٠٠٠ صفحة لكل مؤلف ، وليس من جهة ممولة لهذه الطباعة و « دائرة معارف الكتب » ، هي الموسوعة التي يحتاج اليها في المكاتب لتفسير ما يستغلق علينا وهي ٤ مجلدات وتعتبر نواة « الموسوعة الموجزة » .

سجلت الحضارة العربية الاسلامية علــى اختلاف العصور ، بروز علماء بين كــل عصر وآخر ، اختصتهم العناية العليا بمواهب ومزايا فائقة ، جاوزت الافق المعتاد ، فألفوا الكتب لا بالعشرات بل بالمئة والمئتين ، وذكر « ياقوت » كثيرا منهــم ، ولعل جلال الدين السيوطي (١٤٤٥ ــ ١٥٠٥) كان اوسع العلماء تأليفا بعد عصر « ياقوت » اذ قالوا ان مؤلفاته زادت على خمس مئة مؤلــف .

ويسرنا ان نقــول ان الاستاذ حسان بدر الدين « الكاتب » هو في طريق كبار الموسوعيين في العرب وفقه الله ويسر امره . ولا ننسى ان نذكر بهذه المناسبة ان صديقنا العلامة الدكتور صلاح المنجد الموسوعي فاقت كتبه المئة منذ عدة سنين . فنهنىء الموسوعيين ، « المنجد » و « الكاتب » والغد للعرب .

عجاج نويهض

رأس المتن ــ لبنان

اصدقاؤنا الفئران

بقلم وليام سارويان

ترجمة حسني سيد لبيب

قصة

برغم أنف قطتنا ، في منزلنا فئران . في الليل ، حيث الجو هادىء تماما ، والاضواء منطفئة ، نسمع الفئران — ونحن قابعون في فراشنا — وهي تخرج من حجورها وتطأ الارض الخشبية لمطبخنا ، واذا ما اصغينا جيدا ، سمعناها تتصارخ ، وانه لمن بواعث التسلية ان نصغي اليها . وجميل جدا ، فيما ارى ، ان تكون في منزلنا تلك الفئران الهيابة الكتومة الصغيرة . كما ارى انه لكونها فئراننا ، اي فئران منزلنا ، فقد شعرت انها جزء من حياتنا . انها فئران سارقة ، حيث تسطو على الطعام ، ولكنها على اية حال تكون فيما بينها اسرة ، مثلما نحن اسرة ، ومذ عاشت معنا في منزلنا ، شعرت بالتعاطف نحوها .

واحيانا ، وانا مصغ الى الفئران ليلا ، اشعر بأخي كريكور يصغي معي . نمنا في نفس الغرفة ، وكان سريره مجاورا لسريري ، فأصبحنا متجاورين ، فاذا استيقظت في الظلام واستيقظ هو ، شعرت انه استيقظ لحدوث امر ما اثناء رقاده . شعرت به مصغيا معي للفئران ، فقلت :

— هل تسمعها ، يا كريكور ؟
ويقول كريكور :

— لا تتحدث . ستبدأ نشاطها الآن .

احسست ان وراء يقظته في الظلام سببا ما . واذا ما كان نائما فليس هنالك ثمة شيء . وهو ينصت الى الفئران ، بعدما يتأكد من اننا نمنا وما عدنا منتبهين لحركة الفئران .

وكلمة « موج » الخاصة بالفأر في لهجتنا ، ليست اصطلاحا علميا في معناها ، وانما تعني شكلا بسيطا للحياة الحافلة بالحذر والتوجس . وعندما يكون الطفل صغيرا وخجولا ، ندلله بهذا الاسم . ونحن نعتقد ان فئراننا تتسم بالجبن والدعابة معا ، وليست سببا لمرض ، كما اننا لا نعتقد انها في منزلنا ضارة بصحتنا وسارقة لغذائنا . هي تقوم بقرض غير مؤثر هنا وهناك ، واحيانا نجد الفضلات على الارض ، وهذا يعد اسوأ ما يمكن ان نقوله عنها . لم يصب احدنا بالملاريا بسبب الفئران ، وقد قال كريكور — عندما تحدث في هذا — ان الفئران اذا اصابتها الملاريا فسوف تموت على الفور قبلما تصيبنا الجراثيم . ولم يكن يتحدث بناء على اسس علمية .

مرة او مرتين فقط ، شاهدنا قطتنا وهي تمسك فأرا . شاهدنا القطة وهي تلعب بالفأر ، ثم وهي تأكله .

وبينما يكون مؤلما ان تجد كائنا حيا قد اغتصبت منه حياته ، وبينما صوت العظام الصغيرة وهي تتكسر يصيبنا بالاسى ، فان ما يحدث يردنا الى طبيعتنا حيث انه حلال . القطط مغرمة بأكل الفئران ، واصبح الابتعاد عن طريق القطط جزءا من عمل الفأر . القطة كائن حي كالفأر ، فقط هي من فصيلة اخرى او ذات سلوك مغاير ، وكلاهما له ذكاء فطري . وانه لمن الطبيعي ان تستعمل القطة ذكاءها لاصطياد الفئران ، ومن الطبيعي ان يستعمل الفأر ذكاءه للابتعاد عن طريق القطط . والوضع بصفة عامة معقول ومقبول ، فاذا ما وقع فأر بين انياب قط ، كان ذلك اما نتيجة ان القط تحت وطأة الجوع او الحنين للعب ، قد اكتسب درجة خاصة من الدهاء ، او نتيجة ان الفأر ، قياسا الى عمره او اهماله الجسيم ، لم يتسلح بالاحتراس الكافي . وعلى هذا ، استحقت القطة ان تأكل الفأر ، واستحق الفأر ان يموت .

ويصعب تحديد وجهة نظر اخرى سليمة . وانه لمن التجني التعاطف مع الفئران والشعور بأن القطط مكروهة ومتوحشة او انها تتمتع بميزة ما ، وذلك لان لكل شيء فائدته وما يقابلها من ضرر . واذا امعنت التفكير فيما حدث ، فستدهش للقطة القادرة على اصطياد فأر . وليس من الانصاف اطلاقا التعاطف مع الفأر ، فهذا يدل على ادراك محدود جدا لقوانين الطبيعة وعلم الاخلاق ، لكون الكائن فأرا او قطة . لست طبيعيا ، ولا اعرف اسماء الكائنات الحية الاصغر التي تفتك بها الفئران وتلتهمها ، ولكنني افترض انها تفتك وتلتهم نوعا ما من الكائنات الحية الصغيرة . واذا هي لم تفعل ذلك بوسيلة ما ، ولا تأكل سوى الطعام الذي يأكله الناس ، فينبغي ان تكون افضل حالا مما هي عليه الآن .

وقد رايت قبل ذلك مصائد فئران ، لكني لم اتقن دراسة واحدة منها ، ولم افكر ابدا في استعمال واحدة لفئراننا . والآن ، لدينا ثلاث مصائد فئران . وقد قررت اختي لوسي تطهير منزلنا من الفئران . امسكت احدى المصائد في يدي وتفحصتها بدقة .

رأيت بوضوح السلك القوي الـذي سيهوي على الفأر ويسحقه حتـى الموت ، ورأيت السلك الملفوف لولبيا مما يجعل السلك يتحرك الى اسفل بقوة هائلة . وعندما تستحوذ قطة على فأر وتلعب به ، فمن الصعب تخيـل حالـة الفـأر الشعورية ، دهشته ، خوفه ، امله المفقود في الهروب ، حيـث تتجاسر القطـة بوحشية بالغة في التسلي به ، ولكن برغم كل تلك الملابسات ، فكما قلت ، يتولد لدى المرء شعور بأن العملية برمتها مسألـة خصوصية . ومـن المستحيل ان تتولد الحاجة لاستعمال المصائد . ويكـون اللولب المعدني وذكاء الفأر الفطري متساويين تماما.

في البدايـة ، اعترضت علـى استعمال المصائد . وقد دهشت من اخي كريكور الذي لم يبد اعتراضا . تملى في المصائد ولم يبد اي نوع من الملاحظة للاعراب عن ضيقه ، بطريقة او بأخرى . قلت بالارمنية :

ــ ما الذي ارتكبته الفئران ؟ . هي لم ترتكب اي ذنب .

وقالت امي انها عثرت على فأر غريقا في وعاء الخل ، فأفرغت الخل في الحوض . وقالت انه من السخف احتمال الفئران لاننا نحب سماعها في الليل .

نصبت مصائـد الفئران وبداخلها قطع الجبن . وفي الصباح ، وجدنا مصيدتين اصطادتا الفئران ، ولكن احدى المصائد لم تكن في مكانها ، ولم يكن بداخلها فأر ، كما اختفى الجبن . رأت امي ان هذا غريب جدا . قالت :

ــ لا بد انه فأر ماكر جدا .

شعرت بسعادة غامرة لان احـد فئراننا هرب وحيدا ، وواتتني فكرة بأن هـذا الفأر عـاد الى الفئران الاخرى ، واخبرهم انهـم وضعوا المصائد هناك ، وبداخلها الجبن . انتم تذهبون لتحصلوا على الجبن ، فيطبق عليكم شيء ما ، ويقتلكم . قد شاهدت ما حدث ، وقد حدث بالقرب مني ، ولكنني كنت سريعا جدا . اريد ان تكونوا منتبهين من الآن فصاعدا ، واريدكم ان تفتحوا عيونكم جيدا ، ولا تنخدعوا بقطعة الجبن التـي لا تكون حيث هي موضوعة ، على طبق او رف . اذا رأيتم اي سلك على قطعة خشب ، اهربوا بعيدا عنها . انه فخ . انه سيقتلكم ، ومن الافضل ان تظل جائعا وتبقى حيا ، على ان تنال قطعة صغيرة من الجبن في فمك ، فتقتل .

الفئران التـي قتلـت ، كانـت متيبسة ، ويمكن ان يقال ان اعضاءها عانت كثيرا قبلما تموت . ومن جديد ، وضعـت اختـي لوسي في المساء ، الجبن في ثلاث مصائد . وفي الصباح التالي ، وجدنا بداخل احدى المصائد فأرا ، بينما المصيدتان الاخريان ليستا مستقرتـين في موضعيهما ، وليس بداخلهما فئران . شعرت ان فئراننا قـد تعلمت بسرعة ، فسعدت كثيرا لهـذا .

وفي وقت ما خلال الليلة التالية ، كنت يقظا فأنصت للفئران . اصغيت لحظة قصيرة فلـم اسمع شيئا . وشعرت ان اخي كريكور لـم يكن مستيقظا . ثم سمعت مصيدة تقفل . وحسبت ان فأرا قـد سحق حتى الموت . وفي اقل من دقيقة ، سمعت مصيدة اخرى تقفل . ودهشت مما تسلط على الفئران . لماذا لم يتعلموا ان يقبعوا بعيدا عن المصائد ؟ ثـم سمعت المصيدة الثالثة تقفل . وبهذا المعدل ، حسبت ان جميـع فئراننا ستقتل في اقل من اسبوع ، ثم غلبني النعاس .

وفي الصباح ، وجـدت جميـع المصائد في غير موضعها ، ولم تمسك احداها بفأر . وعلى مائدة الافطار ، قال اخي كريكور :

ــ قـرأت في كتـاب ان بعض الفئران تعرف مهمة المصائد فلا تنخدع بها ، ويتخذون الطريق الخلفي حيث لا يعمل اللولب ، ويأكلون الجبن ثم يمضون . وفئراننا تفعل ذلك .

حسنا ، انه اخي كريكور . بعد برهة ، عاد الى غرفتنا آويـا الى فراشه . كنت منتبها جدا في هذا الوقت . وكنت افكـر بتـرو ، في المصائد ، وفي فئراننا التي عثر عليها اخي كريكور حية بالقرب مني . وبدأنا نصفر بصوت خفيض . وقال اخي كريكور :

ــ ذهبت لتثبيت المصائد .

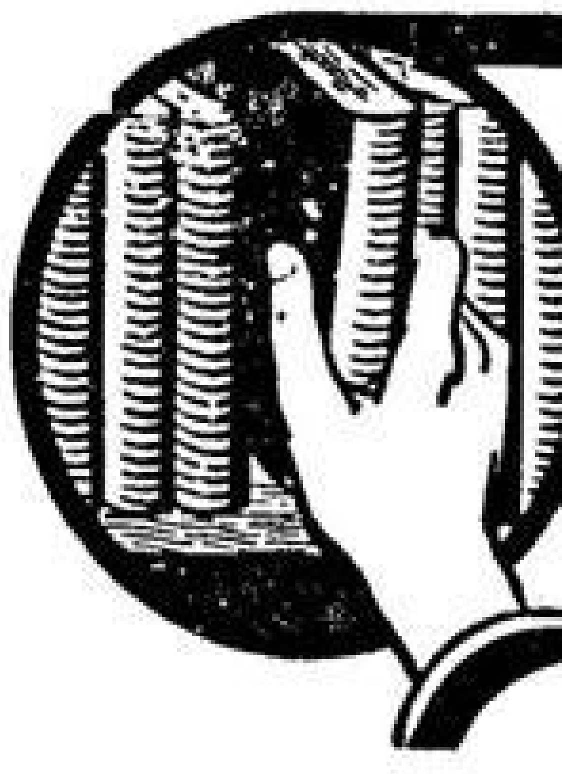
نحـن لا نريد قتل هذه الفئران بالمصائد . وضعت لها الجبن على الارض . سوف تأتي في الحال وهي فرحة ، وسوف تأكلها ، ثم تمضي . سوف نسمعها حين تأتي .

وبدأنا نصغي للفئران ، وبعد برهة سمعناها وهي تخرج من جحورها . قال اخي كريكور :

ــ ليس صحيحا مـا يقال عـن الجراثيم . هـي نظيفة كالقطط . والامر لا يعدو شعورها بالجوع ، تماما مثـل اي كائن حي . ولقـد وضعت الجبن عند الجحر ، ولسوف تجده الفئران .

القاهرة حسني سيد لبيب

مكتبة الاديب



عوض قشطه : حياته وشعره

تاليف حسين علي محمد — ٦٤ صفحة — منشورات كتابات الغد — مطبعة احمد السيد بالمنصورة مصر

وهذا من حوافز المروآت في الادب العربي والخلق العربي ، في انحاء الشقيقة الكبرى مصر (مركز السنبلاوين — دقهلية) .

ونقول ان الميل السليقي او الفطري الى الشعر ، هو لا ريب من المواهب . وهذا لم تزل الامة العربية تراه في متسلسل اعصرها جاهلية واسلاما ، حتى اليوم . فلما وضع الخليل بن احمد اوزان الشعر كان عمله بمثابة تقييد النغم الموسيقي (بالنوتة) لا اكثر ، ولم تزل الستة عشر قرنا تشهد بأن دولة الاوزان التي انشاها الفراهيدي (ت ١٧٠ او ١٧٥ هـ) لم تزل ربة التاج والصولجان ، وستبقى بقاء الضاد الى آخر الزمان .

واما الارتجال فموهبة المواهب ، وسمعنا في القدس في يوم من ايامها (ربما سنة ١٩٢٣) الماضية ، وايام القدس وفلسطين ستعود رغم أنف اسرائيل راغم ، شاعر الارتجال العربي القح ، الشيخ عبد المحسن الكاظمي ، يرتجل في « كلية روضة المعارف الوطنية » بجوار اولى القبلتين وثالث الحرمين (المسجد الاقصى وقبة الصخرة) فسجد القوم المستمعون سجدة شعرية له . وقف معتمرا عمامته البيضاء كانه يلبس تاجا على رأسه ، رحمه الله ، وبلحيته الناعمة كانها قطع الصباح ، ووجهه المتهلل بشرا وانسا ، وعباءته البق له من أوشحة كسرى وقيصر ، فارتجل لا اقل من خمسين بيتا فلم يتردد له لسان ، ولا ابطاته قريحة ، ولا عصته قافية ، ولا تناول في ابياته الابيات الا كل معنى شريف ، وبقي نحوا من ثلاثة ارباع الساعة . ووقفاته في مصر سنة ١٩٢٣ في حفلة التكريم للجنرال جعفر باشا العسكري مشهورة ، ووقتها ارتجل نحوا من مئة بيت كلها غرر ودرر . بعد الكاظمي غفا الارتجال في اعشاشه ، وعدنا لا نرى شيئا من قصوره المنيفة ومقاصيره ورياشه .

الشاعر عوض قشطه ، شاعر السليقة والفطرة ، في مركز السنبلاوين ، في قرية مباركة من قراها تدعى (تمى الامديد) في مصر الشقيقة الكبرى ، تاجر « بقالة » متوسط الحال ، لم يكتب له ان يتعلم في المدارس غير القليل الذي لا يدخل في افق العلم ولا يخلصه من غشاوة الامية . ولكنه حفظ القرآن الكريم واستوعب الكثير من الشعر القديم ، وراح بعد ذلك يواكب القوافل حتى وصل الى العصر الحاضر ، فاستمع الى شوقي وحافظ والمطران وغيرهم من الصفوف . ورزق الشاعر عوض قشطه زوجة كريمة الخلق ، وافرة الفضل النسوي ، ماشته في دروب الدنيا على وفاق ووفاء . وامتحن الله صدق ايمان الزوجين ، بان اصطفى الى جواره ولدهما مصطفى ، حامل ليسانس الحقوق من جامعة القاهرة في حادث تصادم آلي مطلع ١٩٧٦ فصبرا صبر المؤمنين ، مسلمين بانا لله وانا اليه راجعون وقد استردت الوديعة .

وشاء ميزان الاقدار ، ان الاديب الناقد الاستاذ حسين علي محمد (ماجستير في الآداب)(١) جعل منذ نحو من اربع سنين يقرأ شعرا لعوض قشطه في باب الادب والفن في الصحف الكبرى (القاهرة) ، ثم انشئت صلة بينهما مباشرة كان البادىء بها الاستاذ حسين علي محمد ، ونرى هذا من الفضل الذي يذكر . ولما وقف الاستاذ حسين على غزارة الينابيع عند عوض قشطه ، وعوض لا يزال في دكان « بقالته » ، حيث مكتبته الصغيرة ، يبيع الناس بقالة ، ويعطي الادب شعرا اصيلا ، حرص على ان ياخذ بيده ، ويفتح له الابواب ، فوضع في ترجمته كتيبا في ٦٤ صفحة ، وفصل قصة الشاعر السليقي ، واورد نماذج عديدة من شعره في اغراض مختلفة ، وهو من الشعر الحي الاصيل .

فنحن ، وقد استنفدنا كل ما ذكرناه من الكتيب المذكور ، نشكر للاستاذ حسين عمله الطيب نحو الشاعر عوض ، وقد يأتي يوم في المستقبل القريب نرى فيه الديوان الكامل الاول لشاعرنا عوض قشطه ، فيه ترجمته بقلمه وفيه ذكر المروآت الادبية هذه مبسوطة بسطا وافيا ، بحول الله ومنه . وما احسن ما قال الاستاذ حسين وهو يقدم كتابه الى قرائه : « انني اقدم هذا الكتاب عن شاعر في الظل عسى ان ياخذ بيد هذا الاديب ويضعه في دائرة الضوء » ، ونعتقد ان الشاعر عوض قشطه ، قد انتهى عنده عهد الظل ، واطل عليه عهد الندى والطل ، والعارض المنهل .

هذه امته ، الامة العربية ، فليتقدم ، وكنا نحب ان نورد نماذج من شعر « عوض » ، فنعتذر عن هذا لضيق المجال .

رأس المتن — لبنان　　　　عجاج نويهض

* * *

الينبـــــــوع

مجموعة قصص — تاليف املي نصرالله — ٢١٤ صفحة
مؤسسة نوفل بيروت ١٩٧٨

في هذه المجموعة القصصية الجديدة ، لاملي نصرالله ، يلفت النظر ، كما في قصصها السابقة ، سيطرة الاسلوب الشعري الحالم الذي يكسب القصة جو الاساطير والذكريات المستعادة ، التي يتلاعب بها الخيال . ان قسما من هذه الاقاصيص هو بالفعل اساطير من النوع الذي يتناقله القرويون . مثلا « الينبوع » الذي يمنح الحياة والنور لاهل القرية . هل تقصد به عالم الحلم الذي يغتذي منه البشر فاذا مات الحلم من حياتهم (موت زوج مريم) نضبت المواسم وانقطع الخير ؟ لكن رجوع الحلم ، حين يبلغ الولد الشباب ويحل محل ابيه ، يعيد البركة والحياة الى المنزل . وكأني بها تقول : « المستقبل للشباب . هم الامل » .

كذلك من اساطير القرية « الانتظار » . اسطورة عن جبل الشيخ في جنوبي لبنان . الجبل المعمم بالثلج الذي يقطنه شيخ مجهول ، عبثا يحاولون الوصول اليه ، وفي سفح الجبل المهيب قصر مسحور له حكاية مكتوبة فوق صخرة مرصودة ، لم يقدر احد على فك رصدها . اما الشيخ فكل ما يبدو منه عصا قائمة بين السماء والارض تدعو الناس الى الصعود والمغامرة . وقد امتطاها يوما شاهين فشق بها الغيم وانقطعت بعد ذلك اخباره . كان شاهين « شاعر القرية وبطلها المغوار . يعيش في الحلم ،

---

(١) — عنوانه : ديرب نجم — الشرقية — مصر .

يغتذي من رحيق الزهور ويتعلم في كتاب الطبيعة كيف تحلق النسور وتسبح الحيتان » . وابصر العصا تتدلى ذات صباح وتصل الى عتبة داره فامتطاها وسافر . « وظل الناس ينتظرون عودته وينسجون حوله الاساطير . ثم لحق به مغامر آخر . نعمان ، الذي خرج ليدافع عن الشيخ حين تعرض للعدوان . شد منطقته ، حمل السلاح وخرج من غير ان يقول لامه وداعا . لكن نعمان اختفى . وظل الشيخ وحده يعاني جحيم النيران ويتلقى ضربات العدو . عصاه تحطمت وعباءته احرقتها نيران النابالم . لكنه ظل منتصبا مثل اشجار الصنوبر والسرو العتيق . ونعمان مثل شاهين صار اسطورة ، غير ان الناس ما زالوا ينتظرون رجوع الاثنين ويقولون : « نبت لشاهين جناحا نسر حمل فوقهما نعمان حين غادر امه في ذلك الليل الرهيب » . وحين يدوي الانفجار في سماء البلدة يقولون : « شاهين تحول الى نسر وها هو آت برفقة نعمان » .

يبدو ان هذه الاسطورة ترمز الى لبنان ، الشيخ المعمم بالبياض ، الذي يلوح لابنائه بعصاه ، يدعوهم الى البطولة والمغامرة ، يحاول ان يجمعهم تحت عباءته ، يناديهم في الضيق فلا يتحركون . الابطال منهم يذهبون ولا يرجعون ، لكن الناس ما زالوا يتعللون بقدوم البطل المنقذ الذي يرد للشيخ عافيته ويعيد اليه سيادته .

عدا الحكايات الاسطورية ، هناك قصص المعجزات التي حدثت او ينتظر حدوثها : اعجوبة انتهاء الحرب في « حلم صغير » . وشفاء ولد مريض : « كسرة خبز » . ونجاة امرأة من انفجار رهيب : « الاعجوبة » .

والاقاصيص الرومنطيقية التي تروي ذكريات حب ضائع او حياة مبتورة . البطلة فيها تنبش الماضي وتجتر الندم . او تهذي بالشعر وتساورها اعراض الذهول .

رغم تنوع اغراض الاقاصيص ، نستشف من مجموعها دعوة رومنطيقية الى الايمان بدنيا الروح والاستجابة لنداء القلب قبل فوات الاوان . في بعضها تلويح بالبطولة والتضحية وسواهما من قيم كلاسيكية . لكن العنصر السلبي يطغى في الانتظار الذي لا يقارنه كفاح . في نفوس تجتر الماضي ويعذبها الندم فتبرهن عن ضعف واستسلام .

اما الاسلوب فقد سبقت الاشارة الى ميزته الشعرية التي منها تقطيع العبارة ، الاسترسال في الوصف الذي يستوحي الطبيعة ، موسيقية الالفاظ التي تقتبس احيانا من العبارة المحكية ، لا سيما في الحوار ، كما في قولها : « ردت الستائر » اي ازاحتها . « ختيار » بدل مسن . « شوفيه فرجة ؟ كل واحد عشغله » . « يمكن نسيت » . وهذا الاقتباس يبدو على الغالب سائغا ، موفقا .

معهد الدراسات النسائية في العالم العربي
كلية بيروت الجامعية

روز غريب

* * *

صديقي

مجموعة شعرية — فاطمة حداد — ١٠٢ صفحة — من القطع المتوسط — دار الانوار للطباعة في دمشق

قبل عشر سنوات ، وفي عام ١٩٦٧ تعرفت في اللاذقية بالسيدة فاطمة حداد ، فقد سمعت عنها انها تنظم شعرا على الفطرة ، وسمعت انها تركت المدرسة في سن مبكرة لانها تزوجت ، ثم انجبت سبعة اولاد ، وغرقت في خضم المسؤوليات العائلية الجسيمة ، لكنها مع هذا لم تنس الشعر ، لانه يمتزج في دمها ، وهو فيض احساساتها ومشاعرها .

لم تتعلم قواعد العروض ولا اصول النظم — شان الشاعر الياس فرحات — بعكس شاعرات اللاذقية الاربع : عزيزة وهند هارون ، ونبيهه حداد ، ومها غريب بل تنظم على السماع ، بفضل ما أوتيت من اذن موسيقية مرهفة ، تلتقط ادق الخلجات ، واخفت الهمسات .

زرتها يومئذ في منزلها ، فحدثتني اشياء كثيرة عن حياتها ، وقرأت لي مقطوعات من شعرها ، فاحسست بانها ما تزال في اول الطريق ، وتحتاج الى مزيد من العناية والاهتمام ، وخرجت في النهاية بحديث عنها نشرته في مجلة « الضحك المبكي » الاسبوعية تحت عنوان « فاطمة حداد شاعرة غريقة في الضياع » ، فكنت بذلك اول من كشف النقاب عنها ، وشجعها على المضي قدما ، واخرجها من عزلتها الخجول ، لتواكب سير الحركة الشعرية المعاصرة ، وزادها تشجيعا من بعد ابنها بسام ساعي الذي نال شهادة الدكتوراه في الآداب ، واصبح استاذا في قسم اللغة العربية في جامعة « تشرين » باللاذقية . اخذ يوجهها ، ويتعهد اشعارها ويصلح ما يراه فيها من خلل او اضطراب ، وها هوذا اليوم يكتب لها مقدمة ديوانها الاول « صديقي » .

كنت اتوقع ان يبرز الدكتور بسام والدته في المقدمة على غير ما هي ، فاذا به يعترف بكثير من التواضع بأن قوافيها ما تزال قلقة ، وبانه كان يمكنها الاستغناء عن بعض الابيات والقصائد التي ضمها الديوان .

يرى بسام — وانا معه — ان الطبع هو السمة الاولى في شعرها ، ويعتقد ان ضعف ذخيرتها اللغوية — نتيجة لتفتحها على الثقافة الفرنسية في مدارس الراهبات في مطلع حياتها — ثم جهلها التام لعلم العروض وبحور الشعر العربي ، كل هذا ساعد على سلامة طبعها ، وابعدها عن التأثيرات الثقافية الجديدة التي قذفت بكثير من الشعراء بعيدا عن شخصياتهم الحقيقية .

ويتساءل بسام كيف يمكن ان تكون هذه القصائد لصاحبة هذه الثقافة اللغوية المتواضعة ، لذلك فهو يكاد يؤمن بأن للشعراء شياطين توحي لهم وتلهمهم ، كما كان يعتقد شعراء العرب في الجاهلية .

والديوان — الذي صدر مؤخرا عن دار الانوار للطباعة في دمشق بلا فهرس للقصائد — صورة صادقة وأمينة للحياة التي عاشتها ، حياة الزهرة الحبيسة في اناء من زجاج ، فهي المحور الذي يدور حوله معظم القصائد العمودية في الغالب :

انا كالطير مأربي بجناحي   حين أعلو أرى الحياة ضئيله
في دياجي الخضم أسبح جذلى   والاقي بالقفر خير حصيله

ويبدو ان الشعر عندها كان ولم يزل تسليتها الوحيدة المفضلة ، تسري به عن همومها واحزانها ، وتبثه ما يعتلج في صدرها من اشواق حبيسة ، ورغبات مكتومة ، وآهات مجروحة :

أتغنى مع الطيور وحسبي   قطرات من كأس شعر قليله
انا كالطير يبعث الفجر لحني   والقوافي بغير فجر بخيله

وما دام الامر كذلك ، فكيف ترانا نسألها عن التجربة الذاتية ؟ بل من العبث ان نبحث في شعرها عن شيء اسمه تجربة ذاتية ، فقد هربت من واقعها الى الشطحات الصوفية ، تغيم في ضبابها ، وتاوي الى متاهات غيبياتها ، متغزلة بالذات الالهية ، والحب الالهي ، ولا سيما في قصيدتها « عاشقة الله » حتى لنحس ونحن نقرؤها بنفس ايقاعات البوصيري في بديعياته :

فما رأيت حبيبا يستحق هوى   ولا رأيت الهوى في الخلق يكتمل
حتى سموت بحب الله خالصة   وكل حب لغير الله منخذل
وأجمل الوجد أن يسمو لخالقه   وأسعد العبد من ترقى به السبل
لا كأس غير كؤوس الله تسكرني   ولا بغير غرام الله انشغل

وتبرز الملامح الصوفية في شعرها بشكل اوضح في هذه المقابلات التي تلجأ اليها ، فتبهم المعنى ، وتزيده غموضا وتعقيدا :

سر القلوب كسر الروح منفصل   لكنه في طريق الخلد متصل
سيان احيا وافنى ، ما الفناء اذا   عشت أهوى وقلبي في الهوى أزل

ولا تلتزم الشاعرة بابحر الخليل التزاما كليا لجهلها اياها ، لذلك

تراها تخرج عنها خروجا ظاهرا يؤدي الى كسر الابيات الشعرية ، وتحطيم الوزن ، وأستغرب كيف لم تميز أذنها الموسيقية الفرق بين هذين البيتين ؟ :

حطم قيود الوجد واهرب من لظاه   واقطع حبال الود وافلت من عراه
(واعبر على درب الزهر مرنما)   حيث الزنابق والورود لمنتهاه

ولم تلاحظ كيف خرجت عن وزن البحر البسيط في شطر البيت الثاني من قصيدة « ثورة تشرين » :

حرف المدافع اسرائيل تفهمه   فلقنوها ! وللانام ما فهموا

ولو قالت « الآنام » بالمد لصح الوزن ...

كان يجدر بالدكتور بسام ان يصحح لها العروض على الاقل ، وهو الاستاذ الخبير في هذا الفن ، دون ان يمس المعاني او يغيرها .

اما التجديد في ديوان « صديقي » فقليل لا يتعدى القصائد الثلاث ، وهو تجديد في الشكل لا في المضمون ، لا يقوم على قاعدة معروفة . ترسل فيه العنان لقوافيها وتفعيلاتها ، لتسرح على هواها كيفما اتفق ، كما في قصيدة « في احضان الروض » :

سكرى بالروض مخدرة
مستغرقة
أصحو وأغيب
الروض نديم يسقيني
والروض حبيب
الكأس لديه معطرة
ومعتقة
خمر ورحيق ...

ولا يخفى ان كأس الشاعرة وخمرها ، ورحيقها ، ونديمها ، وسكرها ، وسقياها ليس مما تعارف عليه الناس في الدنيا ، بل مما تعارف عليه الصوفيون ...

والصور قليلة في شعرها ، واذا وجدت فهي باهتة شاحبة ، لا روح فيها ولا حياة ، ترتكز على الرصف اللفظي ، واللفظ — كما هو معروف — وعاء ضيق لا يمكن ان يستوعب جوانب الصورة الشعرية التي كثيرا ما يتركها الشاعر بلا اطار او حدود ، واي قارىء يمكنه ان يدرك الفرق بين قولها :

سنرجع ما تناءينا   حبيبي ما توارينا

وقولها :

هي لحظة العمر التي   أمضيتها يوما معك

ووصفها بالاجمال من قبيل التصوير الفوتوغرافي ، لا تمتزج فيه بالموصوف ، ولا تصور احاسيسها من خلاله ، بعكس ما كان يفعله شعراء المدرسة الرومانسية ، فاذا خاطبت الزهرة — وهي بنت الطبيعة — لم تغص الى اعماقها ، ولم تتغلغل في السر الذي يكمن في تفتحها وذبولها ، لتخرج بمغزى يفلسف هذا الوجود ، واكتفت بالقول :

يا زهرة بين الهشيم تفتحت   ماذا أردت من الهشيم
بالله يا أحلى الزهور تراجعي   عودي لاحضان الزهور

ومهما يكن من امر فشعر فاطمة حداد يحتاج الى مزيد من العناية والصقل والتجويد والغربلة ، وحبذا لو استغنت عن اكثر من بيت في القصيدة الواحدة ، ولم تنشر الا الجيد الجيد ، لكنها مع ذلك تظل شاعرة الفطرة السليمة ، والطبع النقي ، والخاطرة البكر التي لم يفسدها التحكيك والتنقيح .

قصور — دمشق   عيسى فتوح

* * *

قصص من بلدي

تأليف مقبولة الشلق — ١٢٠ صفحة حجم متوسط — المطبعة العمومية بدمشق

تمتاز قصص مقبولة الشلق بالطراوة والنعومة والذوق — وتلك خصال ابناء دمشق — ولعل العنوان « قصص من بلدي » يفصح عن المضمون ، ذلك ان القصص نابعة من دمشق ، وتحكي قصتها من الالف الى الياء :

١ — قاسيون عنوان قصة « الاب الحنون » . كيف كان وكيف صار ؟ كانت مغاوره وكهوفه ملجأ للفارين من بطش الاستعمار الفرنسي . وكانت صخوره تصنع منها الحجارة للبيع ، او لرشق زبانية المستعمرين ، ابان التظاهرات العديدة المعبرة عن النقمة العارمة — آنذاك — . وكانت سفوحه المعشوشبة مقيلا ومستراحا للمتنزهين والعاطلين عن العمل والفقراء . وكانت بيوته طينية لا تختلف عن بيوت الريف . وكان قاسيون ، ايضا ، يطل على الفيحاء ، فلا تخفى عليه خافية من جميع عوالمها ... حتى حافلات الترام المقسمة الى رجالي ونسائي وحتى عربات الخيل لنقل الاهلين . وهذه الحافلات والعربات لم يبق منها شيء .

وقد بدل قاسيون وبدلت الفيحاء أيما تبديل ، فالبنايات الاسمنتية الشاهقة والمتلاصقة ، كعلب الكرتون ، تحجب الشمس والقمر والهواء . وها هو قاسيون يندب بحسرة ممضة :

« اني انحسر عندما ارى حفدائي يعيشون في قبور عميقة ، يسمونها اقبية ، يتزوجون ويربون اطفالهم في ظلماتها ... اين بيوتي وحدائقها ؟ واين حواكيري وثمارها ؟ واين نهري وماؤه بل اين قاسيون وهواؤه ... انظروا الى الابنية كيف بنيت ، والى طبقاتها كيف رفعت . لم يعد احد يرى الفيحاء وجمالها » .

ولكن قاسيون لا يلبث ان يجفف دموعه بعد ان جاءه البشير :

« ستغدو جنة من جنان الله في ارضه . لن تبقى فيك بقعة من غير عمران ، ولا قطعة من غير اشجار ، وستبلغ ذراك المياه » .

٢ — وتسخر قصة « لماذا جف النهر ؟ » — وكان يدخل المدينة في سبعة فروع متفرقة فقلت مياهه ونضبت الفروع فاصبحت قاصرة عليه وحده — لمعالجة موضوع عمران مدينة دمشق ... ولقد انحت باللائمة على المقاولين المعماريين الذين قطعوا الاشجار في غوطة دمشق ليحلوا محلها عمارات اسمنتية شاهقة . ولو انصفوا لما أزالوا زينة دمشق : الغوطة ولكان عليهم ان يبنوا في الصحراء الشاسعة الواسعة من الشمال والجنوب وبئس ما فعلت ايديهم وقد ندم المسؤولون ، ولات ساعة مندم .

بهاتين القصتين ، تسجع القاصة سجعا جميلا ، في وصف دمشق بماضيها الزاهي الجميل وحاضرها الباهت الكئيب الذي يضيق الانفاس . فهل تعرفون من تحب بلدها اكثر منها ؟ ... وان شعورها بالمسؤولية لكبير ! ...

٣ — في قصة « ودار الزمن دورته » درس مفيد في التربية الوطنية ، ولا عجب فقد سبق للقاصة ، ان قامت بتدريس مادتي التربية الوطنية والتاريخ ، في ثانوية البنات بدمشق ، مدة خمس سنوات .

وبالاضافة الى الصور المعبرة عن نضال الجماهير السورية في مقارعة المستعمرين واذنابهم ، فان فيها مقارنة ، بين مجيء الجنود العرب المراكشيين الى سورية ، في عهد الانتداب الفرنسي ، حيث كانوا يطلقون النار على الوطنيين ويتحرشون بالنسوة ، بغير ما وازع ، وحضورهم عام ١٩٧٣ في طلب الشهادة ضد الغزاة الصهاينة المتحجرين .

وبالفعل فقد امتزجت دماؤهم بدماء أخوانهم السوريين ، على تراب الوطن الواحد ، حيث الامة العربية الواحدة .

واني اقترح على القاصة استبدال عنوان هذه القصة بـ « عودة حميدة » او « عادوا ... والعود احمد ! » .

٤ — قصة « كفاح » فيلم وثائقي عن تكديس المعاملات في الدوائر الحكومية ، بغير حل ، وتسويف المراجعين يوما بعد يوم ، وراء مركب

النقص لدى رئيس الدائرة الذي يحذق الرياء والنفاق ازاء « المدير » في حين يضع قناع المنجهية ، في مواجهته المراجعين والمرؤوسين ، على السواء ... وليس الرئيس باعلم من المرؤوس وانما العكس صحيح ، تطبيقا للقاعدة العامة المعمول بها ، في اكثر دول العالم الثالث : « وضع الرجل المناسب في غير المكان المناسب » .

٥ ـ في « خولة » نقمة سافرة لعدم المساواة بين الرجل والمرأة ، وكذلك فان في قصة « منتصف الطريق » وصفا حيا لمشكلة المرأة في بلادنا ـ او قل مشكلة القاصة نفسها ـ وبخاصة المثقفة ... ويتضاعف عملها اذ تشتغل داخل المنزل وخارجه ، من غير ان تقوم الحكومة بتأسيس دور لرعاية الاطفال ... وهذه الدور من الامنيات التي تصبو اليها القاصة ، وتعمل على تحقيقها .

٦ ـ وفي قصة « لي بيت » مأساة كل ذي دخل محدود ، في التفتيش عن بيت للسكن .

٧ ـ وقد افردت للمدفأة « الغادرة » قصة فيها طرافة ، تضحك وتبكي ، ولكنها الى الضحك اقرب . وكان للجاحظ منها نصيب ، اذ ذكرته في قصة « لي عرس كل عام » تدليلا على احتفاء دمشق بالعلماء والادباء البارزين . وكذلك فان في قصة « هذا شعر » تنديدا بالفضوليات اللواتي يعرضن انتاجهن الادبي بواسطة جمالهن .

تلك هي القصص العشر في هذه المجموعة « قصص من بلدي » كلها هادفة ، وتنبع من قلب كبير ، ينشر الخير له ولمجتمعه ، ولكنها لا تزين بلباس « القصة المعاصرة » مئة بالمئة ، وانما هي مزيج من القديم والحديث . ويتخللها كثير من السرد وبعض من الحواشي التي يمكن الاستغناء عنها ... على ان الاسلوب لا تنقصه القوة في التركيب ، والفصاحة في التعبير ... حتى ان السرد مستساغ لكمال الموضوع ووضع النقاط على الحروف بحيث لا تخفى على القارىء خافية ، وبخاصة الصور القديمة الجميلة التي لا يعرفها المحدثون .

وفي الختام ، تحية تقدير ومودة الى القاصة مقبولة الشلق ، على هذا اللقاء الاول ، في ساحة باكورة مجموعتها القصصية . وموعدي معها ثانية في المجموعة الثانية « ابتسامات حنان » عما قريب ، باذن الله .

مصياف ـ سورية　　　　مصطفى الخش

* * *

١ ـ ديوان الشريف الرضي

تحقيق الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو ـ وزارة الثقافة ـ ٣٨٢ صفحة ـ دار الطليعة للطباعة والنشر ـ باريس

لقد شهد القرن الرابع الهجري انحطاطا كبيرا في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية بسبب تسلط البويهيين على مقاليد الحكم في العراق وضراوة التناحر والصراع بين ابناء الشعب واستغلال موارد الدولة والاثراء الفاحش على حساب الآخرين . في هذه التناقضات الحادة ظهرت جماعة من الاعلام الذين انجبتهم الامة العربية كعهدها في كل عصر فظلوا وما زالوا شموعا على دروب العلم والمعرفة ومنهم الشريف الرضي ٣٥٩ ـ ٤٠٦ هـ .

ان التحقيق العلمي لهذا الديوان ولغيره يعد مفخرة لتراثنا الخالد وهي رغبة استبدت بالدكتور عبد الفتاح محمد الحلو فجاء متكاملا من جميع الجهات فهو يتناول الشاعر بدراسة وافية لجوانب حياته منذ مولده الى وفاته باستدلالات تاريخية وشواهد علمية اثبتها في التحقيق الى جانب صفاته الخلقية والخلقية : كان الشاعر جميلا اما صفاته الخلقية فان شعره يحمل من الاباء والعزة والوفاء والاخلاص والاحساس المرهف الشيء الكثير وهو معروف بالعفة وعلو الهمة والتدين والسخاء والجود والتقشف.

الاديب



٥

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ٢٥ ليرة لبنانية

•

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ١٠٠ ل.ل.

•

في الخارج العربي : ١٠٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

سائر الاقطار :

٥٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية : ١٠٠ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج ٣٠٠ ل.ل. او ١٠٠ دولار كحد ادنى

•

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء أنشرت أم لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

•

☎ الادارة : ٢٢٣٨١٩　Dir. 223819
المنزل : ٢٢٥١٣٩　Dle. 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨ـ١١

بيروت ـ لبنان

•

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

ويعقد المحقق الفاضل فصلا عن عقيدة الرضي ومذهبه الكلامي وتطلعه للخلافة :

دعنـي أخاطر بالحياة وانمـا   طلب الرجال العز ضرب قداح
أمـا لقاء الملك قسرا او كما   لقي ابن حجر من يد الطماح

ولقد ساءت الاحوال بين الرضي والقادر بالله بسبب قوله :

ما مقامي على الهوان وعندي   مقـول صـارم وانـف حمـي

ويتحدث عن ثقافة الرضي ومن قرأ عليهم وتأثر بهم ثم يتطرق الى مؤلفاته وادبه وشعره قال وهو يرثي امه :

فارقت فيـك تمسكي وتجملـي   ونسيت فيـك تعززي واباـئـي
وصنعت ما ثلم الوقار صنيعه   مما عراني مـن جوى البرحاء
كـم زفرة ضعفت فصارت أنة   تممتهـا بتنفس الصعـداء
لهفان أنـزو في حبائل كربـة   ملكـت علـي جلادتي وغنائي

ويستعرض المحقق اسرة الشاعر ومكانتها العلمية والادبية في المجتمع وقد تعاظم قدر المدح في شعره حتى ليربو على ثلث الديوان ثم يليه الرثاء والفخر والشكوى والنسيب ثم بقية الاغراض واكثر مدائحه الى اسرته والى ابيه بصورة خاصة :

وأين مثل الحسين ان حسنت   صنائع البيض والقنـا القصد
أبلـغ ان صاحت المطي بـه   فـدى التنادي بعيشه الرغـد

والحسين هو ابو الشاعر الذي يرتفع بنسبه الى امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه .

يعتقد المحقق الفاضل : ان الرضي ودع آماله حين سوي على بهاء الدولة التراب سنة ٤٠٣ هـ فهجر القريض الى الحد الذي جعل سلطان الدولة يواصل اقتضاءه منه حتى اضطر الى ان يكتب قصيدته في صفر سنة ٤٠٤ هـ ... وكان يدرك انه يودع الحياة نفسها ففي شعبان سنة ٤٠٥ هـ رثى صديقه البنى فختم مرثيته بقوله :

مـا اخطاتك النائبا   ت اذا اصابت من تحب

ولم يمض على هذا الا اكثر قليلا من اربعة شهور حتى لقي الرضي ربه في يوم الاحد لست خلون من المحرم سنة ٤٠٦ هـ ٢٦ يونيو سنة ١٠١٦ م عن سبع واربعين سنة فصلى عليه الوزير فخر الملك وجميع الاشراف والقضاة والشهود والاعيان ثم دخل الناس عليه افواجا ودفن في داره بخط مسجد الانباريين بالكرخ وقد رثاه اخوه المرتضي وتلميذه مهيار الديلمي وابو القاسم الوزير المغربي وسليمان بن فهد .

يضم الجزء الاول من الديوان صنعة ابي حكيم الخبري المتوفي سنة ٤٧٦ هـ قصائد في المدح على قافية الهمزة حتى الدال واولها قال يمدح الخليفة الطائع لله حتى وقال يمدح وقد سئل ذلك وهي في مجموعها ثمان وثلاثون قصيدة وقطعة وفي آخـر الديوان ملحق يحتوي علـى التخريج والزيادات والفهرس .

الذي يسترعي الاهتمام هو دراسة المحقق الفاضل حول توثيق بعض شعر الرضي وبيان المنحول والمنسوب اليه .

وفق الله الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو لاغنائه المكتبة العربية بكتابيه المهمين « حياة الشريف الرضي ودراسة شعره » ثم ديوان الشريف الرضي الذي نقدمه للقراء على صفحات مجلتنا الاديب الغراء وهو من اصدارات وزارة الثقافة والفنون العراقية سلسلة التراث وطبع على مطابع دار الطليعة للطباعة والنشر في باريس .

٢ ـ المجموعة الكاملة

لاشعار احمد الصافي النجفي غير المنشورة

قدم لها وهيأها للطبع دكتور جلال الخياط ـ وزارة الثقافة والفنون ـ ٧٤٠ صفحة ـ دار الحرية ـ بغداد .

كلفت وزارة الثقافة والفنون الدكتور جلال الخياط جمع وتهيئة اشعار احمد الصافي النجفي غير المنشورة لتصدرها ضمن سلسلة ديوان الشعر الحديث تقديرا لاعمال الشاعر وحفظا لها من الضياع وهي مهمة صعبة عجز الشاعر نفسه عن تحقيقها في ايام حياته بسبب انطفاء انوار عينيه واصابته برصاصات طائشة في حوادث لبنان اضافة الى الاسباب الاخرى كاختلاف خطوط القصائد التي يكتبها من يستعين بهم الى جانب وجود اخطاء وتشابك في الكلمات الامر الـذي يضطر الدكتور الفاضل الـى الاستعانة بالشاعر عند الحاجة طوال ثلاثة اشهر قضاها قراءة وتدقيقا وحلا لالغاز كثيرة ودراسة عن حياة الشاعر من خلال اشعاره وهو يعاني ألم الغربة واحزان التشرد بعيدا عن ارض الوطن فجاءت مجموعة ضخمة تتألف من سبعمائة واربعين صفحة تضم ثلثمائة وثمانين قصيدة وقطعة عدا قصائد وابيات الحقت بغيرها وكانها مذكرات يومية لقضايا واحداث تقع امام مشهد الشاعر يتناول فيها كل ما يصادفه في الشارع والمقهى والفندق وحتى على الرصيف ويلتقط الصور بمهارة فالى جانب العجوز يصف الشاب الحمال والمساكين والصيادين ويسلط الانوار على النساء رغم عزوبته الدائمة فيذكر الجمال والعيون الساحرة وينتقل الى الطبيعة والى الشعر والشعراء .

وفي هذا المجال له حديث طويل فهو يتغزل بفرح الاطفال ويرثي بدموع الشيوخ ويزهد كالرهبان ويعظ كالفلاسفة « وكانت مدرسة الحياة تمده بموضوعات لا تنتهي ، وانماط من اناس يثيرون عنده ردود افعال مختلفة تنعكس في اشعاره ، وتاملات فكرية ، ومواقف ازاء الوجود ووصف لرحلة التنقل والطواف والتشرد » :

وجربت انـواع التغرب كلهـا   فمن غربة في الدار والقوم والعمر
الى غربة في الزي والذوق والهوى   الى غربة في الخلق والدين والكفر
وزدت عليها كلها غربة الشعر   بمخطوط دواوين ضما الى عشر
فابصرت طعم الكل مرا وقاسيا   ولم أر أقسى قط من غربة الفكر

ويأتيه حبيب اديب وهو يحمل مقالة تشيد بشعره فيقول :

أتاني حبيبي كاتبـا لـي مقالة   تشيد بشعري فائقـا وعجيبا
فقلت ، وغصت في شفاهي قبلة   أريـد حبيبا لا أريد أديبـا

وفي شعره يلاحظ القارىء القصة الشعرية واضحة فلنستمع اليه :

اليوم كنت بنزهة في « ربوتي »   بـين الحقول اسير كالنشوان
واذا بكلب جـاء نحوي قاصدا   مستنجدا يشكـو بغيـر لسان
بالرأس يمسح أرجلي مستعطفا   ليهيـج عطفي نحـوه وحناني
فقـرأت فيـه طالبـا لمعونتي   والسر منـه يحـاط بالكتمـان
فوجدته بالجهد يرفـع رجلـه   ويجرهـا جـرا بكـل تـوان
فبدت لعيني الرجل وهي كسيرة   مجروحـة تشكـو باحمر قـان

وتستمر القصيدة وتنتهي بمعالجة الحيوان .

والصافي النجفي شاعر الفقراء :

ود الفقير فقيرا   عز له ، لو وعاه
كل بظل أخيه   ينال دوما هناه

وفي نبضاته يقول :

رمتنـي باللحـاظ فامرضتنـي   ممرضتـي فـزادت في لهيبـي
تمرضنـي ، وتمرضني بعـين   يعاكس فعلها ، فعـل الطبيب

وبعد عودة الشاعر الى وطنه وهو في بغداد قال :

يـا عودة للدار مـا اقساها   أسمـع بغـداد ولا أراهـا

هذه نهلة من فيض نقدمها حول المجموعة الكاملة لاشعار احمد الصافي النجفي غير المنشورة قدم لها وهياها للطبع الدكتور جلال الخياط وقد اغنى المكتبة العربية بهذا الاثر النفيس ومحبي آثار الشاعر الذي ولد عام ١٨٩٧ وتوفي في يوم ١٩٧٧/٦/٢٧ مخلفا وراءه ثروة شعرية قيمة ستكون معينا للدارسين .

الكوت ـ العراق   كاظم محمد حسين